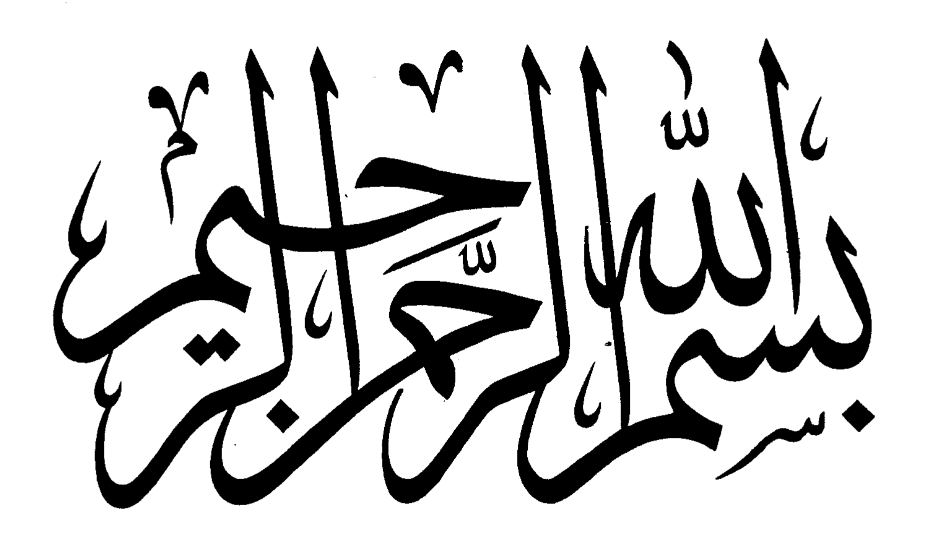
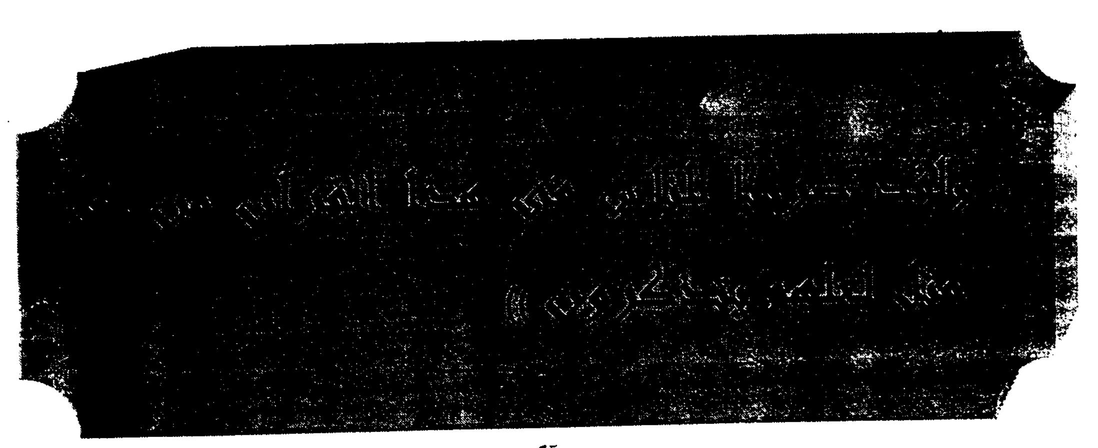
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٣/١٠٢٥٦


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

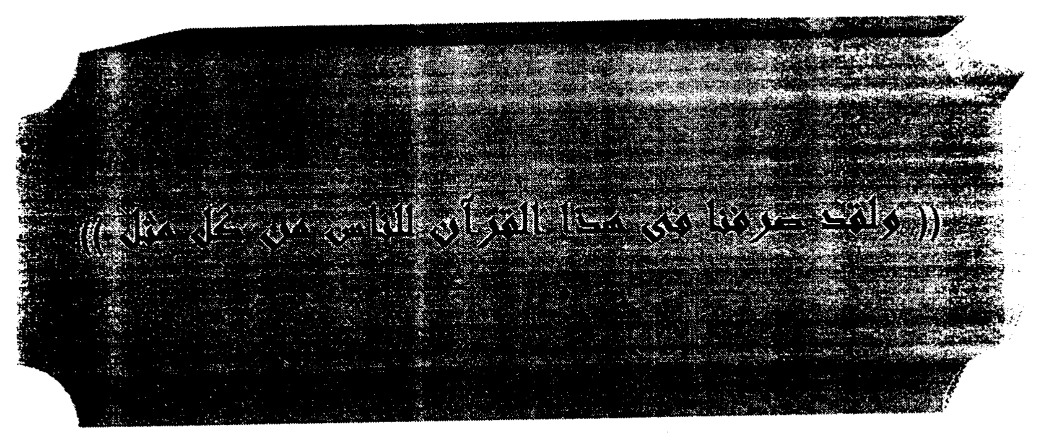


قرآن كريم : سورة الإسراء ، جزء من الآية ٨٩

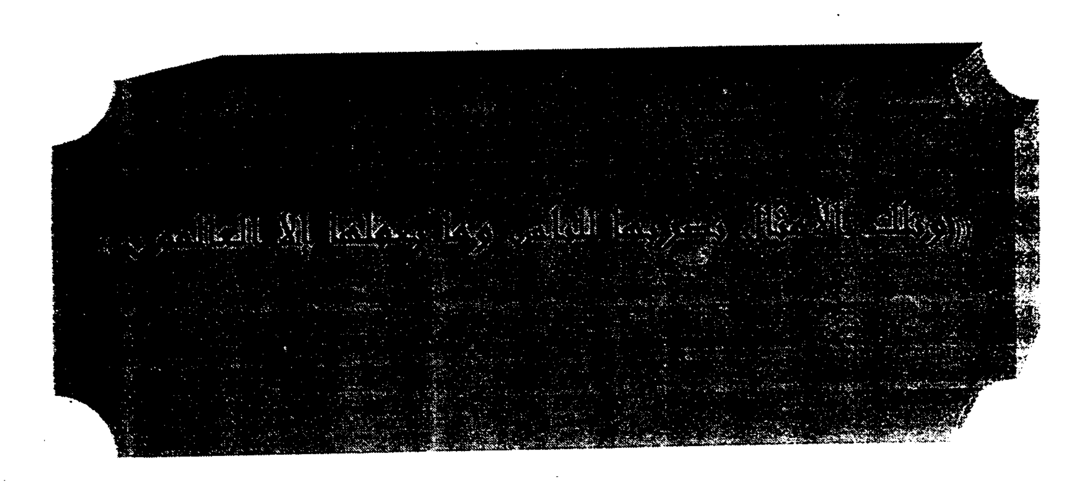


قرآن كريم : سورة الزمـــــر ، الآية ٢٧

قال الله تعالى :



قرآن كريم : سورة الكهف ، جزء من الآية ٥٤



قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآية ٤٣

إهــــــــــــــداء

إلى الذين تربوا على مائدة القرآن

إلى الذين تخلقوا بخلق القــــرآن

إلى الذين يحيــــــون بالقــرآن

ويعيشون من أجـــل القـــــرآن

أهدى إليهم هذا العمــــــل

– التربية الإسلامية بالأمثال القرآنية –

راجياً من الله أن يفقهنا فى ديننا

وأن يعلمنــــا ما ينفعنــــــا

وأن ينفعنــــا بمـــا علمنــــا

وأن يزيدنا علماً وعملاً بالقرآن

دكتور

محمد سعد القزاز

مقدمة الطبعة الأولى

التربية من أخطر وأهم مهام الإنسانية ، لأنها المسئولة عن الحفاظ على الفطرة الإنسانية وتوجيهها ، والمسئولة عن إعداد المسلم العابد لله تعالى ... وهى بطبيعة الحال مستمرة باستمرار الوجود الإنسانى على وجه الأرض .

تعمل التربية على تحويل الكائن البشرى (الطفل) منذ ولادته من كائن حى غير قادر على تلبية حاجاته ومتطلباته ، لا يستطيع مواجهة الحياة وحده ، إلى كائن حى متفاعل ، وله دور فى المجتمع الذى يعيش فيه .

عن طريق التربية يتم تحقيق الأهداف الفردية والاجتماعية ، ولما كان لكل مجتمع فلسفته التربوية الخاصة به ، النابعة من جذوره وثقافته ، فإن للمجتمع المسلم تربيته المستمدة من القرآن الكريم وسنة الرسول – محمد (ﷺ) ولكى تتحقق أهداف هذه التربية الإسلامية ، كان لزاماً أن تستخدم أساليباً تربوية خاصة بها استخداماً يؤدى فى نهاية الأمر إلى تكوين الشخصية المسلمة التكوين الذى يجعلها قادرة على تحقيق أهدافها فى الحياة .

استخدمت التربية الإسلامية عدة أساليب ، كان من بينها أسلوب « ضرب الأمثال » ، الذى يعد أحد أساليب الدعوة إلى الله ، ولوناً من ألوان الهداية ، ويمكن استخدامه كأسلوب من أساليب التربية الإسلامية فيما لو وظف توظيفاً تربوياً ،

وتعد الأمثال القرآنية أحد الأساليب التربوية ذات الأثر الفعال في نفوس وعقول الأفراد ، خاصة وأنها تناولت مجالات شتى وموضوعات متنوعة في الكون والحياة والإنسان ، وكان الهدف من استخدامها تغيير السلوك الإنساني إلى الأفضل .

- استهدفت الأمثال القرآنية مجموعة من الأهداف التربوية ، التي قامت بدورها على مجموعة من القيم الإسلامية ، والتي تعد ضوابط لسلوك الشخصية المسلمة .
- استوعبت الأمثال القرآنية القيم العقدية ، هذه القيم المنظمة لعلاقة الإنسان بالله تعالى .
- كما استوعبت الأمثال القرآنية القيم الخلقية ، وهي تلك القيم التي تتصل بشعور الإنسان بالمسئولية والجزاء والالتزام .
- واستوعبت الأمثال القرآنية القيم العقلية ، وهي تلك القيم المتصلة بالمعرفة الإنسانية ، وطرق الوصول إليها ، ووظيفة هذه المعرفة .
- واستوعبت الأمثال القرآنية الطبائع البشرية ، فأبانت عن ثلاثة أنواع من الطبائع البشرية ، الطبيعة الخيرة وهي طبيعة المؤمن ، والطبيعة الملتوية ، وهي طبيعة المنافقين ، والطبيعة الشريرة وهي طبيعة الكافرين .

- حثت الأمثال القرآنية على التفكير من خلال تناولها للقيم العلمية و القيم المعرفية منها على سبيل المثال : قيمة العلم والتعلم وقيمة العقل والتعقل .

وهكذا نرى أن الأمثال القرآنية استوعبت الكون والحياة والإنسان و هذا ما سوف نراه من خلال هذه الدراسة التربوية التى تناولت الأمثال القرآنية مادة وأسلوباً للتربية الإسلامية .

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل

دكتور / محمد سعد القزاز

تمهيد :

إن جميع الفلسفات التربوية بمختلف أنواعها تسعى إلى تحقيق إكتمال النمو الشامل للشخصية الإنسانية ، وإن اختلفت طرق تحقيقها ، ويعنى الاكتمال تمكين الإنسان من بلوغ أقصى حدود النمو والزيادة فى مجاله ، أما الشمول فيعنى الاهتمام بنمو جميع جوانب الشخصية الإنسانية، الجسمية والعقلية والدينية والاجتماعية ... وغيرها ، مع الوضع فى الحسبان عدم التركيز على جانب واحد من جوانب الشخصية المتعددة على حساب جوانبها الأخرى .

من هذا المنطلق نرى أن التربية الإسلامية اتصفت بصفات لم تتصف بها أية فلسفة تربوية أخرى على الإطلاق ، والسبب فى ذلك أن التربية الإسلامية ربانية المصدر إلهية الوجهة ، واستمدت كل تصوراتها من الشرع الحكيم ، إذ تلقاه الإنسان كاملاً بخصائصه هذه ليطبقه ويعيش حياته الدنيا على هديه ، وبالتالى ليسعد بحياته الأخروية فى دار النعيم الذى أعده الله لعباده المتقين ، المخلصين ، الذين طبقوا شرعه فى الدنيا وفازوا بالدنيا والآخرة معاً .

إن التربية الإسلامية مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ) التى طبقها تطبيقاً عملياً لينهج المسلمون من بعده هذا النهج ، ويسيروا على منواله .

ومعنى هذا أن التربية الإسلامية ليست فلسفة نظرية أو أيديولوجية وضعية ، إنها قابلة للتطبيق العملى فى كل زمان وكل مكان ،

ولا تتعارض مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، لقـول الله تعـالى : ((فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله))[1] وقول رسـول الله (ﷺ) ((ما من مولود إلا يولد علـى الفطـرة ، فـأبواه يهودانـه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيهـا من جدعاء))[2]

اتسمت التربية الإسلامية بالشمول ، ومعنى هذا أنها اهتمت بجميع جوانب الشخصية المسلمة دون تركيز على جانب معين ، أوترك أو إهمال أحد الجوانب الأخرى للشخصية الإنسانية .

كما اهتمت التربية الإسلامية بالوجود كله ، ويعد التصور القرآنى لمسألة الألوهية ، والعالم ، والإنسان ؛ أنضج تصور عرفته الإنسانية ، بل وأشمل وأكمل تصور على الإطلاق ، وذلك لأنه التصور الذى لا يأخذ جانباً من الوجود ويدع جانباً آخـر ، وإنمـا يأخـذ الوجـود كلـه بمادياتـه وروحانياته، أو معنوياته ، وكائناته جميعاً ، إنـه التصـور الإسـلامى ، السماوى الحق ، وكل ما عداه من تصورات ، ليست كاملة ، بـل يؤخـذ منها ويضاف إليها ، وهكذا .

التربية الإسلامية لا تهتم بجانب واحد مـن جوانـب الشخصـية المسلمة وذلك لكونها شاملة ، وهى أيضاً فى الوقت ذاته تربية كاملـة ، تسعى لتحقيق اكتمال الشخصية الإنسانية ، وإن تعددت الطرق الموصـلة إلى ذلك ، وهى كثيرة وفى الوقت ذاته غير متعارضة ، بل يكمل بعضـها بعضاً ، وكل منها مفيد بحسبه وظـروفه وملابسـاته ؛ فإنهـا بعد ذلك

---

(١) قرآن كريم : سورة الروم ، جزء من الآية ٣٠ .

(٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبـانى ، الطبعة الثانية ، الرياض ، مكتبة المعارف ، عمان ، الأردن ، المكتبـة الإسـلامية ، ١٤١٢هـ ، (باب كل مولود يولد على الفطرة) ، الحديث رقم ١٨٥٢ ، ص ٤٨٤ .

كله لم تغفل أية طريقة من طرقها المتعددة وأساليبها المختلفة ، كل ذلك بغرض تربية الإنسان وتوجيهه وإرشاده إلى السلوك الذى يصلح لحياته فى الدنيا والآخرة ، ويتناسب مع جوانبه المادية والروحية .

وإذا كان فى الإنسان – حسب طبيعته الإنسانية التى حددها التصور الإسلامى – جانب الخير وأيضا جانب الشر مصداقاً لقوله تعالى : ((وهديناه النجدين))[1] ، وقوله تعالى ((إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا)) [2] . فإن على عاتق التربية الإسلامية يقع العبء الكبير فى تغيير السلوك البشرى الخاطئ ، لما لدى الإنسان من قابلية للتعلم ، ومرونة ، واستعداد زوده الله تعالى به .

ويعد ضرب المثل طريقة من طرق التربية الإسلامية ذات الأثر الفعال فى نفس الفرد ، وقد ضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم لأهداف تعبدية دينية تربوية، وذلك لأن الإنسان فى حاجة دائمة إلى التذكير بعد الغفلة والنسيان، وفى حاجة إلى أن تثار همته نحو الخير ، وسلوك طريقه، وفى حاجة إلى التعرف على الأحداث الماضية فى الأزمنة الغابرة، وما حدث للإنسان عبر الأزمان ؛ وكل ذلك للتعرف على نواميس الله وقوانينه التى يجريها على مخلوقاته .

من أجل هذا جاءت الأمثال القرآنية " لتتناول مسائل شتى لما يكون عليه الناس ، من هدى أو ضلال ، ومن إيمان أو كفر ، ومن استقامة أو انحراف ، وبهذا تكون نماذج يحتذى وأسوة يتأسى بها ، فى

---

(١)قرآن كريم : سورة البلد ، الآية : ١٠

(٢) قرآن كريم : سورة الإنسان ، الآية ٣ .

الإقبال على منهج الحق وطريق الهدى ، كما تكون نذرا متوعدة بالنكال والبلاء لمن سلك مسالك الضالين والمنحرفين " (١)

لقد ضرب الله الأمثال ليربى الإنسان المسلم ، ويربطه بموكب الإيمان ، وكأنما هذه الأمثال أراد الله بها أن يضعها أمام المؤمنين ليرد بها على قضية مثارة أو يلفتهم لفته تربوية إيمانية أو يبين لهم مثل الكافرين . وحال من أعرض عن دين الله ، وإن كانت الأمثال التى يضربها الله تعالى فى القرآن " لا تشبه شيئاً فردياً بشىء فردى ، ولكن المثال يأتى لتقريب فكرة ما إلى الذهن البشرى ، بحيث يستطيع أن يستوعبها ، ولا يشترط أن يكون المثال من نفس نوع الشىء الذى نتحدث عنه ، ولكن يشترط أن يعطينا الفكرة التى نريدها أن تكون واضحة فى أذهان الناس " (٢)

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية دراسة التربية الإسلامية من خلال الأمثال القرآنية من خلال عدة أمور منها :-

١) الأمثال القرآنية طريقة من طرق التربية الإسلامية الكثيرة المتنوعة .

٢) الأمثال القرآنية وسيلة من وسائل الهدى للبشر على مر العصور واختلاف الأحداث .

---

(١) الدكتور فؤاد على رضا : من علوم القرآن – الطبعة الثانية –بيروت ،دار إقرأ – ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٦٠

(٢) الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن (الجزء السابع) – القاهرة – مطابع أخبار اليوم ١٩٩٣م ، ص ٣

٣) استوعبت الأمثال القرآنية كل مجالات الكون والحياة .

٤) استوعبت الأمثال القرآنية الإنسان بكل طبائعه البشرية وخصائصه وحالاته وانفعالاته ، وحاجاته وطموحاته ، وأمراضه وسقامه وعلاجه .

٥) للأمثال القرآنية تأثير عميق فى العواطف الإنسانية ، والعقول البشرية ، كما أنها تؤدى دوراً مهماً فى تغيير سلوك الإنسان فى الحياة اليومية . فيما لو استعملت بحكمة ، وفق المناسبات والحيثيات والملابسات ، من جانب المعلم فى المدرسة ، أو الوالد أو الوالدة فى المنزل، أو أى فرد يقوم بدور تربوى فى المجتمع بصفة عامة ، وذلك من أجل تغيير سلوك الناشئة وتعديلها إلى الأفضل والنسب حسب المنهج الإسلامى .

٦) تناولت الأمثال القرآنية مجالات شتى ، فمثلت بالإيمان ، ومثلت بالكفر ، وفضحت النفاق ، وحضت على الإنفاق والبذل ((وصورت الخبيث والطالح ، وأشادت بالنبل والخير ، والصالح ، وأبرزت المعقول فى صورة مجسمة ، وألبست المعنوى ثوب المحسوس وفصلت المجمل ، وأوضحت المبهم ، لتهذب بتلك طبائع الناس وتخفف من غلواء النفوس)) (١)

٧) ضرب الله الأمثال القرآنية ، كلون من ألوان الهداية البشرية ، لأنها تغرى النفوس الخيرة ، فتحضها على الخير والبر والتمسك بالفضائل الإسلامية ، كما أنها تزجر النفوس الأخرى فتمنعها من الانحراف نحو الرذيلة ، أو اقتراف الآثام والنقائص التى تعيب الشخصية الإنسانية .

---

(١) الدكتور فؤاد على رضا : مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

مشكلة الدراسة :

يمكن تحديد مشكلة الدراسة فى السؤال الرئيس التالى :-

" كيف تستخدم الأمثال القرآنية فى التربية الإسلامية ؟ "

وبمعنى آخر :

كيف يمكن أن نربى التربية الإسلامية عن طريق الأمثال القرآنية ؟

ويخرج عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية ، كما يلى :-

١) ما المقصود بالمثل القرآنى وما تصنيفاته وما خصائصه ؟

٢) ما الوظيفة التربوية للأمثال القرآنية ؟

٣) الأهداف التربوية للأمثال القرآنية ؟

حدود الدراسة :

تتناول هذه الدراسة بعض الأمثال القرآنية ، وبيان مدى الاستفادة منها ، فى مجال التربية الإسلامية ، وعلى وجه الخصوص فى كيفية استخدامها فى صياغة أهداف تربوية إسلامية .

منهج الدراسة :

يمكن تفعيل منهج الدراسة من خلال عدة خطوات هى :-

١) قراءة القرآن الكريم ، قراءة متأنية ، وذلك بهدف حصر الآيات الكريمة الدالة على الأمثال أو المتضمنة لها .

٢) تحديد الأمثال القرآنية ، وجمعها من أجل تصنيفها .

٣) تحليل مضمون الأمثال القرآنية تحليلاً تربوياً .

٤) استخلاص الأهداف التربوية للأمثال القرآنية .

٥) توضيح كيفية الاستفادة من الأمثال القرآنية ، وتوظيفها فى ميدان التربية الإسلامية فى الأسرة ، وبعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى المهتمة بعملية التربية .

من أجل هذا كان المنهج التحليلى ،هو انسب المناهج لهذه الدراسة، مع الاستفادة بأسلوب تحليل المضمون ، كأداة أساسية مناسبة لتحليل الأمثال القرآنية ، واستخلاص الجوانب التربوية منها ، حتى يتسنى الإفادة منها .

خطة الدراسة :

تأتى هذه الدراسة لتحاول الإجابة عن التساؤلات التى طرحتها مشكلة الدراسة ، وتسير خطة الدراسة على النحو التالى :-

١) التعريف اللغوى للمثل .
٢) التعريف الإصطلاحى للمثل القرآنى .
٣) تصنيف الأمثال القرآنية .
٤) خصائص الأمثال القرآنية .
٥) الوظيفة التربوية للأمثال القرآنية .
٦) الأهداف التربوية للأمثال القرآنية .

وهى كالتالى :-أولاً : تأكيد القيم الروحية (العقدية) .
ثانياً : بيان قدرة الله تعالى .
ثالثاً : تربية عقل المسلم .
رابعاً : تأكيد القيم الخلقية .
خامساً : إبراز ملامح الطبائع الإنسانية .
سادساً : تأكيد القيم العلمية والمعرفية .

سابعا : تقرير مبدأ الحرية الإنسانية .
ثامنا : تربية الإرادة الإنسانية .
تاسعاً : تقرير مبدأ المسئولية الفردية .
عاشراً : تأكيد القيم المادية (الإقتصادية) .
حادى عشر : ترسيخ مبادئ التربية الأمنية .
ثانى عشر : تعظيم شأن الجنة والعمل لها .
ثالث عشر : بيان حقيقة الحياة الدنيا التى نعيشها .
خاتمة .

تعريف المثل : المعنى اللغوى :-

يقال : مثل ومثل وشبه وشبه بمعنى واحد ... والمثل والمثيل كالمثل ، والجمع أمثال ... والمثل : الحديث نفسه . وقوله عز وجل : ((ولله المثل الأعلى)) ؛ جاء فى التفسير أنه قول لا إله إلا الله وتأويله أن الله أمر بالتوحيد ونفى كل إله سواه ، وهى الأمثال .

والمثل : الشىء الذى يضرب لشىء مثلاً فيجعله مثله ، وفى مختار الصحاح : ما يضرب به من الأمثال . قال الجوهرى : ومثل الشىء أيضاً صفته .

المثل هو الصفة ، ومثل ذلك قوله تعالى : ((ذلك مثلهم فى التوراه ومثلهم فى الإنجيل ...)) أى صفتهم ، ونعتهم .

والمثل بمعنى العبرة ، ومنه قوله عز وجل : ((فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين)) ... أى عبرة يعتبر بها المتأخرون .

ويكون المثل بمعنى الآية ، أو الأمر العجيب ، وذلك فى قـول الله تعالى فى صفة عيسى - عليه السلام : ((وجعلناه مثلاً لبنى إسـرائيل)) أى آية تدل على نبوته ... [١]

المعنى الاصطلاحى : إذا نظرنا إلى الأمثال فى القرآن الكريم وجدناها لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوى الذى هو الشبيه أو النظير ، أو الند أو المماثل ، ولا يستقيم حملها على ما يذكر فى كتب اللغة لدى مـن كتب فى الأمثال ، إذ ليست الأمثال القرآنية أقوالاً استعملت علـى وجـه تشبيه مضربها بموردها ، كما لا يستقيم حملها على معنى الأمثـال عنـد علماء البيان ، إذ إن من أمثال القرآن ما ليس باستعارة ، وما لم يفـش استعماله وينتشر .

لذا فمن الأصوب تعريف المثل فى القرآن الكـريم بأنـه : إبـراز المعنى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس ، سواء كانت تشبيها أو قولاً مرسلاً .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية عن الأمثال : ((إنها تشـبيه شـىء بشىء فى حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر)) [٢].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب - المجلد الحـادى عشـر - بيـروت ، دار صـادر- ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢ م ، ص ص ٦١١ ، ٦١٢

إنظر : محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : مختار الصحاح، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٦م ، ص ص ٢٥٦، ٢٥٧

- الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، الجزء الرابع ، بيروت دار إحيـاء التـراث العربى ، ص٦٥

(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق محمد محى الـدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م ، ص ١٠٥ .

ويوضح الإمام ابن قيم الجوزية المعنى أكثر فيعطى النماذج الدالة على أنواع الأمثال، فيقول : فترى أكثرها على طريقة التشبيه الصـريح ، كقوله تعالى: ((إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء)) (١)

ومن الأمثال القرآنية ما يجيء على طريقة التشـبيه الضـمنى ، كقوله تعالى : ((ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)) (٢) وهذا ليس فيه تشبيه صريح .

ومن الأمثال القرآنية أيضاً ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة ، كقول الله تعالى : ((يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولواجتمعوا له وإن يسلبهم الـذباب شـيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)) (٣) لقد سماه الله مثلاً ، مع أنه ليس فيه استعارة ولا تشبيه .

تصنيف الأمثال القرآنية :

هناك عدة تصنيفات للأمثال القرآنية جاءت على النحو التالى :-

التصنيف الأول للأمثال القرآنية

* التقسيم الأول (٤)

١) تمثيل بسيط : وهو المشتمل على التمثيل بمفرد ، لأن الممثل لـه يشابه المتمثل به ، من وجه من الوجوه ، أو جانب من الجوانب كتمثيـل الجاهل بالأعمى أو العالم بالبصير ، أو الجهل بالظلمات ، والعلم بالنور .

---

(١) قرآن كريم : سورة يونس ، جزء من الآية ٢٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الحجرات ، جزء من الآية ١٢ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحج ، آية ٧٣ .

(٤) عبد الرحمن حبنكه الميدانى : الأمثال القرآنية ، دمشق ، بيـروت ، دار القلـم ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص ص ٧ ، ٨ .

٢) تمثيل مركب :- وهو الذى يقدم على شكل لوحة ، تصور أكثر من مفرد ، ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً منه ومن غيره أو من الصورة العامة وهذا التمثيل المركب بدوره ينقسم إلى قسمين :-

(أ) إما أن تكون على شكل عناصر متلاقية تقابل أمثالها فى المُتَمثـل له، كتمثيل الإنفاق فى سبيل الله ، بالزرع ، فى أرض طيبة مباركة ، فتنبت الحبة منها سبع سنابل ، وفى كل سنبلة مائة حبة . فالإنفاق يشبه الزرع ، وتنمية الله له فيشبه النبت الجيد أما مضاعفة الأجر يشبه تكاثر السنابل من الحبة الواحدة ، وتكاثر الحب فى كل سنبلة .

وإما أن يكون على شكل وحدة مركبة متداخلة ، تعطى بجملتها وجه الشبه دون ملاحظة التقابل الجزئى بين الممثل بـه والممثـل لـه ، كالمثل الذى ضربه الله تعالى لفريق المنافقين ، قال تعالى ((مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لايرجعون)) [١]

التقسيم الثانى

وهو من جهة كون الممثل به والممثل له ، مما يدرك بالحس الظاهر أو لا يدرك به ، ومعنى هذا أن ((كل معلوم إما أن يكون شيئاً يمكن إدراكه بالحواس الخمس الظاهرة (السمع ، البصر ، الشم ،

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآيتان : ١٧، ١٨ .

التذوق، اللمس) وإما أن يكون معنى من المعانى ، أو شعوراً يحس به الوجدان ، كالأفكار ، والعواطف ، والانفعالات ، وكل أنواع الشعور » [١]

* ويقسم هذا التقسيم بدوره إلى :-

١) تمثيل يدرك بالحس الظاهر بمدرك الحس الظاهر .
٢) تمثيل مدرك فكرى عقلى (أو وجدانى بمدرك فكرى وعقلى) أو وجدانى .
٣) تمثيل مدرك فكرى عقلى أو وجدانى مدرك بالحس .
٤) تمثيل مدرك فكرى بالحس الظاهر بمدرك فكرى (عقلى) أو وجدانى.
٥) الصور التمثيلية المختلطة التى تمتزج فيها الأشياء المدركة بالحس الظاهر ، بالمدركات الفكرية أو الوجدانية .

التقسيم الثالث :-

من جهة كون المثل صورة منتزعة من الواقع أو من الخيال :-
(١) من أمثلة الصورة التمثيلية المنتزعة من الواقع تمثيل الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، بزارع يزرع ، بذوره فى تراب رقيق مبسوط ، على صخرة صماء ملساء ، إذا نزل عليها غيث السماء سفح التراب ، والبذور معه ، وجرفها السيل ، فتترك مزرعته حجراً صلداً لا شىء عليه فهو لا يطمع فى نبات ولا ينتظر حصاداً .
- الصورة التمثيلية هنا منتزعة من الواقع فى الأحداث الكونية ومنها أيضاً تمثيل الذى ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، وتثبيتاً من نفسه بقاعدة

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى - مرجع سابق ، ص ٨ .

الإيمان فى قلبه ، ولفضيلة خلق الجود عند . بزارع حصيف عامل يزرع حبة فى جنة جيدة التربة ، بربوة لا تقر فيها السيول ، فينزل عليها المطر الغزير فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها المطر الغزير ، كفاهــا الطــل الذى ينزل عليها هذه الصورة التمثيلية منتزعة من الواقع .

(٢) من أمثلة الصورة التمثيلية المنتزعة من الخيال ، تمثيل طلع شــجرة الزقوم التى تخرج فى أصل الجحيم بصورة رءوس الشياطين .

فالناس لايعرفون صورة رءوس الشياطين ، ولكنهم يحملون فــى حياتهم صورة قبيحة منفرة سخيفة ومخيفة للشياطين ورءوسهم .

التصنيف الثانى للأمثال القرآنية

جاءت الأمثال القرآنية فى هذا التصنيف على ثلاثة أنواع [١]

أولاً : الأمثال المصرحة :

وهى الأمثال التى صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه .

ثانياً :- الأمثال الكامنة :

وهى الأمثال التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل علــى معان رائعة فى إيجاز .

ويمثل لهذا النوع بأمثلة منها :-

ما فى معنى قولهم : (خير الأمور الوسط) مثلاً :-

---

(١) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ، الطبعــة الثانيــة ، الريــاض ، مكتبــة المعارف ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م ، ص ٢٨٤ .

١-قول الله تعالى فى وصف بقرة بنى إسرائيل : ((لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)) (١)

٢-قول الله تعالى فى الإنفاق والبذل : ((والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)) (٢)

٣-وقول الله تعالى فى الصلاة : ((ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبغ بين ذلك سبيلا)) (٣)

أما فى قولهم : ليس الخبر كالمعاينة :-

١-فتظهر ذلك فى قول الله تعالى لأبى الأنبياء إبراهيم (عليه السلام): ((قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)) (٤)

ما قولهم : كما تدين تدان :- فيظهر ذلك فى قوله تعالى : ((من يعمل سوءاً يجز به)) (٥)

أما قولهم : ((وما فى معنى)) ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)) ، فيظهر ذلك فى قوله تعالى على لسان يعقوب (عليه السلام): ((قال هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل)) (٦)

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٦٨ .

(٢) قرآن كريم : سورة الفرقان ، أية : ٦٧ .

(٣) قرآن كريم : سورة الإسراء ، جزء من الآية : ١١٠ .

(٤) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٦٠ .

(٥) قرآن كريم : سورة النساء ، جزء من الآية ١٢٣ .

(٦)قرآن كريم : سورة يوسف ، جزء من الآية ٦٤ .

ثالثاً : الأمثال المرسلة :

يقال إنها مرسلة ، لكونها جمل أرسلت إرسالاً ، من غير تصريح بلفظ التشبيه ، وهى رغم ذلك آيات جارية مجرى الأمثال مثل :-

١) قول الله تعالى فى سورة يوسف : ((الآن حصحص الحق)) . (١)
أى وضح الحق وظهر وبرز (٢)

٢) قول الله تعالى فى سورة " النجم " : ((ليس لها من دون الله كاشفة)) (٣)

أى لا يدفعها من دون الله أحد ، ولا يطلع على علمها سواه . (٤)

٣) قول الله تعالى فى سورة يوسف :((قضى الأمر الذى فيه تستفتيان)) (٥) أى فرغ من هذا الأمر وبت فيه وانتهى .

٤) قول الله تعالى فى سورة هود :- ((أليس الصبح بقريب)) (٦)

٥) قول الله تعالى : فى سورة فاطر :-

((ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله)) (٧)

أى وما يعود وبال ذلك الفعل إلا على فاعله دون سواه من البشر.

---

(١) قرآن كريم : سورة يوسف ، جزء من الآية ٥١
(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، الطبعة التاسعة ، بيروت – لبنان – دار المعرفة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م ، ص ٤٩٩ .
(٣) قرآن كريم : سورة النجم ، الآية ٥٨ .
(٤) الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، الجزء الرابع ، الطبعة التاسعة ، بيروت، ولبنان ، دار المعرفة ١٤٠٧هـ ، ١٩٩٧م ، ص ٢٧٨ .
(٥) قرآن كريم : سورة يوسف ، جزء من الآية ٤١.
(٦) قرآن كريم : سورة هود ، جزء من الآية ٨١ .
(٧) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ٤٣ .

٦) وقول الله تعالى فى سورة الإسراء :((قل كل يعمل على شاكلته)) [١]

٧) وقول الله تعالى : فى سورة المدثر:((كل نفس بما كسبت رهينة)) [٢]

التصنيف الثالث للأمثال القرآنية

جاء فى كتاب : (الأصلان فى علوم القرآن) [٣] أن الأمثال القرآنية تنقسم إلى قسمين كالتالى :-

١) الأمثال فى القرآن فيها ما صرح فيه المثل كقوله تعالى :-
((مثلهم كمثل الذى استوقد نارا)) [٤] وكقوله تعالى : ((مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة)) [٥]

٢) من الأمثال فى القرآن الكريم ما كمن و لم يصرح به نحو قوله تعالى ((والذين إذا انفقوا ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)) [٦]
فإنه يكمن فيه المثل القائل : ((خير الأمور الوسط)) .

- وقوله تعالى : ((... بلى ولكن ليطمئن قلبى ...)) [٧] يكمن فيه المثل القائل ((ليس الخير كالعيان)) أو ليس الخبر كالمعاينة .

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، جزء من الآية ٨٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة المدثر ، الآية ٣٨ .

(٣)دكتور محمد عبد المنعم القيعى : الأصلان فى علوم القرآن – الطبعة الثانية – القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ، ص ٣٤٤ .

(٤)قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ١٧ .

(٥) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٦١ .

(٦) قرآن كريم : سورة الفرقان ، آية ٦٧ .

(٧) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

- وقول الله تعالى : ((هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل))[١] موافق لقولهم : ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)).

التصنيف الرابع للأمثال القرآنية :

جاء فى كتاب : ((تأملات قرآنية))[٢] ، التقسيم التالى للأمثال القرآنية :-

(١) الأمثال الصريحة :

وهى التي يصرح فيها بلفظ المثل ، وهى كثيرة جداً فى القرآن الكريم.

(٢) الأمثال الكامنة :

وهى التى لم يصرح فيها بلفظ المثل ولكنها جرت مجراه ، وهى نوع من الإيجاز البيانى .

(٣) الأمثال المرسلة :

وهى جملة أرسلت من غير تصريح بلفظ التشبيه ، ويصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه ، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعه بين المسلمين ، ولم تكن أمثالاً معروفة قبل ذلك .ومن أمثلة هذا النوع :-

((الآن حصحص الحق))[٣] ، وقوله تعالى : ((ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله))[٤] ، وقوله تعالى : ((ضعف الطالب والمطلوب))[٥] ،

---

(١) قرآن كريم : سورة يوسف ، من الآية ٦٤ .

(٢) موسى إبراهيم الإبراهيم : تأملات قرانية ، بحث منهجى فى علوم القرآن الكريم ، الأردن ، دار عمار ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م ، ص ١٦٢

(٣) قرآن كريم : سورة يوسف ، من الآية ٥١ .

(٤) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ٤٣ .

(٥) قرآن كريم : سورة الحج ، جزء من الآية ٧٣ .

وقوله تعالى : ((ليس لها من دون الله كاشفة)) [١] ، وقوله تعالى : ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) [٢]

التصنيف الخامس للأمثال القرآنية

جاء فى كتاب " التعبير الفنى فى القرآن " [٣] التقسيم التالى للأمثال القرآنية :-

(١) الأمثال الكامنة :-

وهى ما دل مضمونها على معنى يشبه مثلاً من أمثال العرب المعروفة أى أنها بمعانيها لا بألفاظها ، ومن هنا جاءت التسمية بأنها كامنة ، أى متضمنة .قال أحد العلماء : ما تكلم العرب بمثال إلا وفى القرآن نظيره ، فقال له أحد الناس : قالت العرب : ((خير الأمور أوساطها)) فأين أجده فى القرآن فأجاب : تجده فى قوله تعالى :-

١- وفى قوله تعالى ((لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)) [٤]

٢- وفى قوله تعالى ((والذين أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)) [٥]

٣- وفى قوله تعالى ((ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط)) [٦]

---

(١) قرآن كريم : سورة النجم ، آية ٥٨ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

(٣) دكتور بكرى شيخ أمين التعبير الفنى فى القرآن ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٣٠ .

(٤) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية : ٦٨ .

(٥) قرآن كريم : سورة الفرقان ، آية ٦٧ .

(٦) قرآن كريم : سورة الإسراء – جزء من الآية ٢٩

٤- وفى قوله تعالى ((ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبغ بين ذلك سبيلا)) (١)

(٢) الأمثلة المصرحة أو القياسية :

ويقصد بها أن الصيغة التى وردت فيها العبارة قد تخللها لفظة ((المثل)) ((المكونة من الميم والثاء واللام)) ، مثال ذلك قول الله تعالى :-
((واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون)) (٢)

وقوله تعالى :
((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً)) (٣)

وقول الله تعالى :
((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى أذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)) (٤)

(٣) الأمثلة المرسلة :

وهى عبارة عن " جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه ، ويصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه ، وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم ، وشيوعها فى المسلمين ، ولم تكن أمثالاً فى وقت نزوله)) (٥)

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، جزء من الآية ١١٠ .
(٢) قرآن كريم : سورة يس ، الآية ١٣ .
(٣) قرآن كريم : سورة الجمعة ، الآية ٥ .
(٤) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١٩ .
(٥) د. بكرى شيخ أمين – مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

من هذا النوع من الأمثال القرآنية ، على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، ما يلى :-

(١) قول الله تعالى : فى سورة يوسف ((الآن حصحص الحق)) [١] أى ظهر وبان وبرز .

(٢) قول الله تعالى : فى سورة الحج : ((ذلك بما قدمت يداك)) [٢]

(٣) قول الله تعالى : فى سورة هود : ((أليس الصبح بقريب)) [٣]

(٤) قول الله تعالى : فى سورة فاطر ((ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)) [٤]

(٥) قول الله تعالى : فى سورة البقرة :- ((وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)) [٥]

(٦) قول الله تعالى : فى سورة البقرة أيضاً : ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) [٦]

(٧) قول الله تعالى :فى سورة آل عمران ((كل نفس ذائقة الموت)) [٧]

(٨) قول الله تعالى : فى سورة الرحمن : ((كل من عليها فان)) [٨]

---

(١) قرآن كريم : سورة يوسف ، جزء من الآية ٥١ .

(٢) قرآن كريم : سورة الحج ، جزء من الآية ١٠ .

(٣) قرآن كريم : سورة هود ، جزء من الآية ٨١ .

(٤) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ٤٣ .

(٥) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢١٦ .

(٦) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٨٦ .

(٧) قرآن كريم : سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٨٥

(٨) قرآن كريم : سورة الرحمن ،جزء من الآية ٢٦ .

• خصائص الأمثال القرآنية

الأمثال القرآنية متفردة بوضع خاص ، فهى لون من ألوان الهداية تغرى النفوس بالخير ، وتحضها على عمل البـر وتمنعهـا عـن إتيـان المعصية أو الذنب بل تدفعها إلى الفضيلة دفعاً .

والأمثال القرآنية آيات بليغة مضروبة مـن الله تعـالى لعبـاده ، ليهتدى من إهتدىعن بينة ، ويضل من ضل عن بينة ، فكلما ((ضرب الله تعالى الأمثال لأهل الكفر والزيغ وأعمالهم ، ضرب سبحانه الأمثال لأهـل الإيمان لأن الأضداد تظهر الأشياء)) (١)

اجتمع للأمثال القرآنية عدة خصائص جعلتها متفردة عـن أمثـال العرب ، ومن هذه الخصائص ما يلى :-

١) أنها مضروبة من الله تعالى و ليست كأمثال البشر .
٢) أنها جاءت فى القرآن الكريم وذلك فهى من كلام الله تعالى .
٣) كونها من الله فهى صادقة ومن أصدق من الله قيلا .
٤) كونها جاءت فى القرآن الكريم فهى جزء منه ويعتبد بها .
٥) تمتاز بدقة التصوير .
٦) تمتاز بما يمتاز بها القرآن الكريم .
٧) " الأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عـن الأسـماع والأبصـار ، لتهدى النفوس بما أدركت عيانا " (٢)

---

(١) الدكتور فؤاد على رضا : مرجع سابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) محمود بن الشريف : الأمثال فى القرآن – الطبعة الثانية – دار المعارف بمصر – ١٩٦٥م ، ص ١١٨ .

٨) يجتمع فى المثل " أربعة لا تجتمع فى غيره من الكلام " : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .[١]

٩) الأمثال القرآنية تمتاز بالتنوع فى العرض :
- مرة بالتشبيه .
- مرة بالعرض المفاجئ .
- مرة بالتمثيل البسيط .

١٠) تمتاز الأمثال القرآنية بصدق المماثلة بين الممثل والممثل به .[٢]

١١) تمتاز الأمثال القرآنية بأنها تبرز العناصر المهمة فى الصور التمثيلية .

١٢) تمتاز الأمثال القرآنية بأنها تبرز الأبعاد الزمانية والمكانية .

١٣) قد يحذف من المثل القرآنى مقاطع ، ذلك لاستثارة ذهن وتفكير المستمع والقارئ ، وحثه على التفكير والاستنباط .

١٤) لكل مثل قرآنى فائدة خاصة به .

• الوظائف التربوية للأمثال القرآنية

الأمثال القرآنية تستحضر صوراً من واقع الحياة الماضية ، أو الحاضرة ، التى سجلها القرآن الكريم ، فهى إشارة موجزة إلى قصص الأمم الماضية وما وقع للجماعات الإنسانية على طول مسيرة الجنس البشرى على الأرض .

---

(١) الدكتور فؤاد على رضا : مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : مرجع سابق ، ص ٩٩ .

وتعتبر الأمثال القرآنية آيات بليغة للتربية والموعظة والعبرة ، وقد جاءت لتقريب الحقائق للعقل ، وتصويرها بصورها المحسوسة ، خاصة إذا علمنا أنه ((إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وآنق للمستمع)) [١] .

لقد كان العرب يضربون الأمثال ، و لضرب الأمثال عندهم شأن ليس بالخفى فى إبراز خفيات الدقائق ، ورفع الأستار عن الحقائق ، تريد المخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه شاهد ، وفى ضرب المثل تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، فإنه يؤثر فى القلب ما لا يؤثر فى غيره [٢] .

تضرب الأمثال القرآنية للترغيب فى القيم الإسلامية الموجبة ، كما تضرب للترهيب من القيم السالبة ، وتضرب لتربية الإنسان تربية إسلامية شاملة " جسمية ، عقلية ، أخلاقية ، اجتماعية ، ترويحية ، جمالية ، لتشمل كل جوانب الشخصية الإنسانية .

لقد ضرب الله تعالى الأمثال القرآنية للناس ، فتناولت جميع جوانب الحياة الدنيا والآخرة وذلك لهداية الناس وتربيتهم التربية القرآنية علهم يفيقون من سكرة الجهل ويطمئنون من قلق الظنون " [٣] .

---

(١) الدكتور فؤاد على رضا : مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٣) الدكتور سعيد اسماعيل على : الأصول الإسلامية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ص ٥٨ .

لما كانت الأمثال القرآنية من عند الله ، يضربها للهداية والعظة والاعتبار والحكمة البليغة ، فقد وصفت أحوال النفس البشرية على اختلافها ، وتباين أسباب نجاتها ، وأسباب انحرافها وانجرافها وشقاوتها، وبذلك تكون الأمثال القرآنية بمثابة المعالم التى يسترشد بها الإنسان فى فهم طبيعته الإنسانية ، وتوجيهه إلى المنهج الإسلامى الصحيح ، وتهذيبه وتربيته بحسب هذا المنهج الإلهى .

إن الأمثال القرآنية تختلف عن الأمثال فى الأدب ، أو فى أى فن من الفنون الأخرى ، إذ أن لها غايات نفسية وتربوية وإيمانية ، حققتها وتحققها نتيجة لنبل المعنى وسمو الهدف ، بالإضافة إلى الدقة المتناهية والإعجاز البلاغى والتأثير الأدائى لها لأنها جزء من القرآن الكريم ، ويتعبد بتلاوتها .

للأمثال القرآنية وظيفة تربوية متفرده ، فهى تبرز الأشياء الخفية وتجعلها فى صورة واضحة جلية ، ولما كانت المعانى المعقولة لا تستقر فى أذهان الناس إلا إذا صيغت فى صورة حسية ملموسة ، تقرب المعنى وتجليه، فإن الأمثال القرآنية عالجت هذه النقطة ، فتعرضت للغائب فى صورة ومعرض الحاضر ، وأبرزت المعنوى المعقول فى صورة المحسوس والمادى ، كى يتقبله العقل... وهكذا أبرزت الأمثال القرآنية المعقول فى صورة المحس ، والمتخيل فى صورة المتيقن .

إن تقريب المعنى إلى الإفهام وظيفة تربوية ، غايتها التأثير من أجل الفهم واستخلاص العبرة من النتائج والغايات ، لذلك " ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية " (١)

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع . الطبعة الثانية ، دمشق ، دار الفكر ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ٢٤.

وقد يكون لدى المخاطب نوع من الجهالة حول الممثل له ، ويراد رفع هذه الجهالة عنه كما يمكن أن يكون التمثيل وسيلة سهلة للتعليم والتربية ، ووضع المعرفة مكان الجهل ، بل ربما يكون التمثيل أحسن الوسائل وذلك عند تعذر إحضار الممثل له ، ولذلك تأتى أهمية الأساليب التربوية لتقريب المعنى وتبسيطها بهدف تثبيتها عند المتعلم أو المتربى بأقل جهد وفى أقل وقت ممكن .

لقد بلغت الأمثال القرآنية قمة البلاغة وذروة الإعجاز ، وذلك من حيث كونها قربت المعنى الخفى للأفهام ، فصار جلياً واضحاً ، من ذلك ما ضربه الله تعالى مثلاً للحق والباطل . قال تعالى : ((**أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار إبتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**)) (١)

لقد شبه الوحى الذى أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذى أنزلـــه لحياة الأرض بالنبات ، وشبه القلوب بالأودية ، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماءً كثيراً ، وقلب صغير يسع ماءاً كثيراً ، وقلب صغير يسع بحسبه كالواد الصغير فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها ، وكما أن السيل إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكدر بها شاربه ، وهى من تمام نفع الدواء ،

---

(١) قرآن كريم : سورة الرعد ، آية ١٧ .

فإنه أثارها ليذهب بها ، فإنه لا يجامعها ولا يشاركها ، وهكذا يضرب الله الحق والباطل .[١]

لقد كان من حكمة ضرب الأمثال فى القرآن الكريم أنها تشبيه الشىء بشىء فى حكمه ((وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، باعتبار أحدهما بالآخر))[٢]، وذلك واضح من خلال قول الله تعالى فى حق المنافقين : ((مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لايرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكفرين))[٣] .

لقد ضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين : ((مثلاً نارياً ومثلاً مائياً ، لما فى النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة ، فالنار مادة النور ،والماء مادة الحياة ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الوحى الذى أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ، ولهذا أسماه روحاً ونوراً ، وجعل قابلية الإحياء فى النور ، ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً فى الظلمات ، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحى وأنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضئ له وينتفع بها ، وهذا لأنهم دخلوا الإسلام فاستضاءوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ، لكن لما لم يكن لصحبتهم

---

(١) ابن قيم الجوزيه : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٠

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآيات ١٧ : ١٩ .

مادة فى قلوبهم من نور الإسلام طفىء عنهم وذهب الله بنورهم، ولم يقل بنارهم . (١)

إن الممثل له قد لا يكون ذا صورة حية ، مادية فى كل الحالات ، لكنه أمر فكرى عقلى ذهنى وجدانى غير مادى ، لذا يراد بالمثل تقريب الصورة الذهنية أو الوجدانية ، ولقد ضرب الله الأمثال وذلك " لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره فى نفسه بصورة المثال الذى مثل به ، فإنه قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشياء الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ، ففى الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره ، وكلما ظهرت لها الأمثال إزداد المعنى ظهوراً ووضوحاً " . (٢)

إن تقريب الشىء المعنوى إلى شئ محسوس ، يجعل الصورة المحسوسة أقرب " تصوراً وأسرع فهماً ، وأثبت بقاءً لأنها تحدد الأبعاد، وتبرز الأجزاء ، وتوضح منها ما خفى ، وقد تراها بالعين أو تتخيلها بالخاطر ، أو تتحسسها باليد أو تستوعبها بالأذن ، وقد يشترك كل أولئك فى التقاطها فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء ، زاهية الألوان نابضة بالحركة " (٣)

لذا عدت الأمثال القرآنية أسلوباً من أساليب التربية الإسلامية ذات الأهمية البالغة فى العملية التربوية والتعليمية .

---

(١) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) محمد أحمد جاد صبح : التربية الإسلامية ، دراسة مقارنة ، القاهرة ، مكتبات الكليات الأزهرية ، د.ت. ، ص ١٢٩ .

• الأهداف التربوية للأمثال القرآنية

مقدمة

اشتملت الأمثال القرآنية على عدد من الأهداف التربوية ،هذه الأهداف تقوم على مجموعة من القيم الإسلامية ، وإن كانت جميعها تخدم الدعوة الإسلامية ؛ إلا أن هذا لا يمنع أن يكون منها الفردى ومنها الجماعى ، ومنها العقلى ومنها الخلقى ، والاجتماعى والوجدانى والجمالى وهكذا .

وسوف نستعرض مجموعة من الأهداف التربوية من خلال الأمثال القرآنية نتعرف من خلالها على مجموعة من القيم والضوابط الإسلامية التى هى بمثابة المعيار الذى تقوم عليه العملية التربوية الإسلامية

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب رسوله – محمد (ﷺ) ليكون هداية للبشرية ، لا ليصطدم مع الطبائع البشرية، ليضبطها ويفجر أحسن ما عندها، ومن ثم كان لابد أن يقوم السلوك البشرى على أساس قيمى ضابط ولا يتم ذلك إلا عن طريق التربية الإسلامية الصحيحة(١) .

ولما كانت التربية لا يمكنها أن تحيا فى معزل عن القيم ، لكون عملية التربية عملية قيمية ، والقيم تصوغ العمل التربوى وتوجهه ، لذلك تعد التربية عملية تستهدف إعداد الإنسان فى مجتمعه ، كما تعمل على

---

(١) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية ، دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها ، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلبى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٨٧ .

تشكيل الشخصية الإنسانية تشكيلاً يقوم على أساس ما يسود فى المجتمع من تنظيمات سياسية واجتماعية واقتصادية (١)

إن التربية الإسلامية تقوم على نسق فريد من القــيم الإســلامية المستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المطهرة ، وذلــك لارتباط هذه القيم بأبعاد وجوانب الشخصية المسلمة ، وذلك طبقاً للترتيب التالى :-

(١) القيم الروحية (العقدية) وهى تلك القيم المنظمة لعلاقــة الإنســان بالله تعالى .

(٢) القيم الخلقية ، وهى تلك القيم التى تتصل بشعور الإنسان بالمسئولية والجزاء والالتزام .

(٣) القيم العقلية ، وهى تلك القيم التى تتصل بالمعرفة الإنسانية وطرق الوصول إليها ، ووظيفة هذه المعرفة ، وأدب البحث عنها.

(٤) القيم الاجتماعية ، وهى التى تتصل بالوجود الاجتماعى للإنسان .

(٥) القيم الوجدانية (الانفعالية) : وهى التى تتصل بالجوانب الانفعالية للإنسان .

(٦) القيم المادية : وهى التى تتصل بالعناصر المادية المســاعدة علــى الوجود الإنسانى .

(٧) القيم الجمالية : وهى التى تتصل بالتذوق الجمالى وإدراك الاتســاق فى حياة الإنسان . (٢)

لقد جاءت الأمثال القرآنية مستهدفة عدة أهداف تربويــة يمكــن تحقيقها عن طريق القيم الإسلامية ، وهى كما يلى :-

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

الأمثال القرآنية تؤكد القيم العقدية

تستمد التربية الروحية (العقدية) فى الإسلام أهدافها من القيم العقدية الإسلامية الصحيحة ، والتى تتعلق بالله تعالى ، الذى يرجع إليه وحده خلق هذا العالم ، ويتفرد سبحانه وتعالى بالألوهية وبكل خصائصها، وهو سبحانه وتعالى المتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص ، ومن صفات الكمال التى يجب أن يتصف بها الله تعالى : الوجود والقدم والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة ، والسمع والبصر والكلام وكونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً ، وهو سبحانه وتعالى منزه عن أضداد هذه الصفات (١)

تستهدف التربية الروحية (العقدية) من خلال الأمثال القرآنية : أن يكون المسلم أنموذجاً مثالياً يقتدى به ، ونمطاً حياً متحركاً للفكر الإسلامى وللتربية الإسلامية التى تربى عليها . إن التربية الإسلامية وهى تربى المسلم التربية الحقة من خلال قيمها الإسلامية ، إنما تضع نصب العينين الرغبة فى الاعتقاد السليم ، وتثبيت العقيدة الإسلامية الحقة ، وبيان التكامل بين الإيمان والعمل الصالح ، وإخلاص الشخصية المسلمة فى أداء واجباتها ، والمطالبة بحقوقها .

لقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات الكريمة التى ركزت على بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة فى صدور أفراد المجتمع المسلم ، ولم يترك القرآن الكريم جانباً من جوانب العقيدة إلا وعرضها عرضاً واضحاً بهدف تربية الشخصية المسلمة تربية عقدية صافية صادقة ، وقد جاءت

(١) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الإسلامية ، طرابلس ج.ع.ل. الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٧٥م ، ص ٦٠ .

كثير من الآيات القرآنية متضمنة بعض الأمثــال ، أو متضــمنة بعضـــها وهدفها تربية الشخصية المسلمة ، تربية تنال بها شرف الخلافــة علـــى شرع الله ، فى الأرض .

إن هدف التربية الإسلامية أن تعمل على إعداد الإنسان المستخلف فى الأرض على مفهوم وحدة الدين ووحدة الجنس وتوحيد الله ، وحـــين تبدأ التربية الإسلامية مع الإنسان تعمل علـــى أن تصــله بـــالله تعـــالى ، وتحسن هذه الصلة وتعمقها فى ضوء التوحيد ، وحين تركز على التربية العقدية للإنسان ، فإنها توجه الطاقة نحو بناء الأخلاق الفاضلة من أجـــل تمكين الإنسان من مقاومة شيطانه ونفسه .

ولا شك أن لتربية العقيدة أثره العميق فـــى تكـــوين الشخصـــية المسلمة ، وضبط اتجاهاتها ، وفق ما تدعو إليه هذه العقيدة ، وحسب ما توجهها إليه من كمال وسمو ، إذ ترجع المشكلات والأخطـــاء والأخطـــار كلها إلى ضعف العقيدة وتراخى مفهوم التقوى والمسئولية والجزاء . (١)

ومن هنا وجب توضيح ما تقوم عليه تربية العقيدة الصـــحيحة ، فنبدأ بخصائص الألوهية لنبين الصفات الواجبة لله تعالى وهى :-

- صفة الوجود

إن الله تعالى فى وجوده حقيقة وليس فكرة ، حيـــث إن وجـــوده ملموس ومحسوس بوجود مخلوقاته ، والتى هى " آيات تدل على حقيقـــة وجوده " (٢) قال تعالى : ((وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا

(١) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٥م . ص ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) دكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ٦١ .

تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)) [١]

يستطيع الإنسان أن يرى الله تعالى بعقله ، وأن يحسه بقلبه ولكنه لا يستطيع أبداً أن يراه بعينيه ، أو يسمعه بأذنيه ، وإن كان يراه بعقلـه ويحسه بقلبه ... من خلالهما إن أراد ، وذلك لأن " طبيعة الله " لا تمكـن الإنسان ، بإمكانياته البشرية المحدودة من أن يراه ، كما أن الأرض ذاتها لا تتحمل طلعته [٢] سبحانه وتعالى .

- صفة المخالفة للحوادث :-

الله تعالى موجود ، أزلى ، أبدى ،باق ، قديم ، مخالف للحـوادث والمخلوقات على اختلاف أنواعها وأشكالها وبيئاتها وماهياتها ، ومعنـى ذلك أنه سبحانه وتعالى مخالف ومغاير لكل ما خلـق وبـرأ وذرأ وأنشـأ وأوجد فى كونه المخلوق ، فى السماوات والأرض ، وما تحتهما ، ومـا بينهما ، بل مخالف لكل ما يخطر على بال المخلوقين جميعاً [٣] ، ولقـد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقول الله تعالى : " ليس كمثلـه شـئ وهـو السميع البصير " [٤] ((فكل ما خطر ببالك الله بخلاف ذلـك)) أى لـيس كخالق الأزواج (الذكور والإناث) كلها شئ ،لأنه سبحانه وتعالى الفـرد الصمد ، الذى لا نظير له ولا ند له ولا قرين له ، [٥]

---

(١) قرآن كريم : سورة الذاريات ، الآيات ٢٠ : ٢٣ .

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر ، الطبعـة الثانيـة ، سلسـلة الإسـلام وتحديات العصر - الكتاب الثانى - القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١م ، ص٩٥ .

(٣) دكتور عمر محمد التومى السيبانى : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٤) قرآن كريم : سورة الشورى ، جزء من الآية : ١١ .

(٥) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ١٧٧ .

وبمقتضى هذه الصفة الواجبه له سبحانه وتعالى " لـيس كمثلـه شئ" فإنه جل شأنه منزه عن المادة والصور والجسم والجوهر والعرض، ومنزه عن الزمان والمكان والمكين والجهة ، وعلى ذلك لا يجوز أن يكون البارىء سبحانه وتعالى صورة فى جسم ولا مادة ، ولا مجموعهمـا ولا يكون مادة لأنها تحتاج إلى صورة ، ولا يكون صورة لأنها تحتـاج إلـى مادة [١] ومعنى قوله تعالى : ((ليس كمثله شىء)) تنزيهـه سـبحانه وتعالى عن مشابهة شىء من المخلوقات فى ذاته وصـفاته وأفعالـه .. والمقصود هو المبالغة فى تنزيه الله تعالى عن مماثلة الأشياء والمخلوقات من كل وجه بطريق الكناية [٢].

صفات الحياة والعلم والإرادة والقدرة

لقد ضرب الله تعالى الأمثال القرآنية ، تأكيـداً للقـيم الإسـلامية وتربية للشخصية المسلمة ، تربية عقدية ، متميزة عن جميـع التربيـات التى تقوم على فكر بشرى ، أو فلسفة تربوية ، جاءت من الشرق أو من الغرب من وضع الشر .

ومن الأمثال التى ذكرها القرآن الكريم ، وقد جاءت مؤكدة لقيمة الإيمان بالله تعالى ، وقول الله تعالى :

((يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لـن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يسـتنقذوه منـه ضعف الطالب والمطلوب)) . [٣]

---

(١) دكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٢) دكتور أحمد السيد على عثمان : العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة ، المنصورة ، مكتبة الإيمان ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م ، ص ١٠٦

(٣) قرآن كريم : سورة الحج ، الآية ٧٣ .

إن الله تعالى ينبه على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها ، وأنه لو اجتمع جميع ما يعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك ، لضعفهم وحقارة تفكيرهم وأبلغ من ذلك أنهم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً.... (١)

ويبين الله تعالى صورة الكافرين وعدم قدرتهم على التمييز ، وحقارتهم حين عبدوا غير الله المستحق للعبادة وحده ، فقال تعالى :-
((ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز)) (٢)

وقال تعالى : ((وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)) (٣)

إن الكافرين ما عرفوا قدر الله تعالى وعظمته حين عبدوا معه غيره ، وهذا العظيم الذى لا أعظم منه ، القادر على كل شئ المالك لكل شئ ، وكل شئ تحت قهره وقدرته (٤) هو وحده المستحق للعبادة بلا شريك .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية فى هذا المعنى : " حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه ، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره ، والآلهة التى يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه ، فكيف ما هو أكبر منه!!

---

(١) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٢٤٦ .
(٢) قرآن كريم : سورة الحج ، الآية ٧٤ .
(٣) قرآن كريم : سورة الزمر ، الآية ٦٧ .
(٤) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ٦٧ .

ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليه من طيب ونحوه ، فيستنقذوه منه ، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذى هو أضعف الحيوانات ، ولا على الانتصار منه ، واسترجاع ما سلبهم إياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة ، ولا أضعف منها ، فكيف يستحسن بما قل عبادتها من دون الله ؟ (١)

هكذا يضرب الله تعالى هذا المثل القرآنى ، بالذباب الصغير ، الحقير ليبين للذين يدعون من دون الله آلهة غيره ، أنهم لا يقدرون على خلق هذا الذباب الضعيف ، ولو اجتمع كل هؤلاء أو تكاتفوا وتساندوا جميعاً ، فإنهم لن يخلقوا شيئاً يذكر ، ولا أدل على ذلك من عدم قدرتهم عن خلق الذباب الذى ضرب الله به المثل على عجزهم ، هذا العجز الذى " يلقى فى الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل أو الفيل، دون أن يخل هذا بالحقيقة فى التعبير القرآنى ، وهذا من بدائع الأسلوب القرآنى العجيب " (٢)

قال الله تعالى : " إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين " (٣)

إن الله تعالى لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلا ، ولو كان فى الحقارة والصغر كالبعوضة ، كما لا يستنكف عن خلقها ، كذلك لا يستنكف

---

(١) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ص ١٨١ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٤٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦ .

من ضرب المثل بها ، ومثل هــذه الأمثـــال يضــربها الله فيــؤمن بهـــا المؤمنون، ويعلمون أن هذه الأمثال التى ضربها الله لهدايتهم إنما هى حق وصدق وليس فيها شئ من الشك و الريبة ، أمـــا الـــذين كفـــروا بـــالله والمنافقون والفاسقون فيزدادوا ضلالاً على ضلالهم وكفرا على كفـــرهم ، وذلك لأنهم كذبوا ما قد علموه يقينا ، و عبدوا غير الله .

إنما المؤمنون فيعلمون أن كل ما جاء من عند ربهم هـــو الحـــق وكل ما يقولـــه هو الحق ، ويعلمون أن الله تعالى لا يضرب المثل القرآنى إلا بالحق ، أما الكافرون المطموسو البصيرة ، فلا يدركون فيم ضرب الله المثل ، وينظرون إلى الشكل دون الجوهر ، ولا يستطيعون أن يدركوا أن معجزة الخلق فى الذبابة أو البعوضة ، أو العنكبوت أو غير ذلـــك ، إنمـــا هى معجزة الخلق فى كل شئ مخلوق فسبحان الله العظيم عما يشركون .

لقد ضرب الله تعالى الأمثال بأحقر الكائنات فى نظر الكافرين وذلك من أجل تعليمهم وتربيتهم وتوجيههم ، وقـــد تحـــداهم أن يخلقـــوا مثـــل هذه الكائنات الصغيرة والحقيرة ، فما اســـتطاعوا ، وهـــم بـــلا شـــك لا يستطيعون [١]

ضرب الله تعالى الأمثال ليؤكد عند المؤمن قيمـــة الإيمـــان بـــالله وحده، وأنه الخالق المعبود القادر ، العزيز ، القهار الذى لا شريك له فى ملكه ، ولا ند ولا نظير له ولا معقب لحكمه .

---

(١) محمد قطب : دراسات قرآنية ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١٨٥ .

قال تعالى : ((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)) [١]

إن الله تعالى يربى المسلم على الإيمان به ، والتمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها لقوتها وثباتها ، وذلك بحسن أدائه لعمله واتباع شرعه تعالى [٢] ، أما المشركون الضالون فقد ضرب الله تعالى لهم المثل فى حالة شركهم بالله واتخاذهم آلهة من دون الله تعالى ، يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهذه الآلهة فى شدتهم وعسرهم ، وهم على هذه الحالة كبيت العنكبوت فى ضعفه ووهنه ، وأنه ليس فى أيدي هؤلاء المشركين من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فى ضعفه ، ولا شك أن هذا لا يجدى شيئاً .

هكذا يؤكد الله تعالى قيمة الإيمان بالله تعالى من خلال الأمثال القرآنية والتى هى من أبلغ ما أنزل الله تعالى فى بطلان الشرك ، وتجهيل أهله ، وتقبيح عقولهم ، والشهادة على أن الشيطان استطاع أن يتلاعب بعقولهم ، أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة [٣]

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل وكلامه الموجه إلى " الإنسان " إلى نفسه وقلبه وفكره وروحه ، وهو كتاب تربية وتوجيه وإرشاد للأمة الإسلامية ، وهو المنهج التربوى الذى تربى عليه الرسول (ﷺ) وربى عليه أمته ، رباهم بالعقيدة التى هو موضوع القرآن الأكبر ، بل هى أداة

---

(١) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

(٢) انظر : الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٤٢٤ .

(٣) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص١٨١ .

التربية الأولى وإن كل حرف جاء للتربية والتوجيه والتعليم والإرشاد ، إنه الحاوى للدروس التربوية عامة وللعقيدة بصفة خاصة (١)

ومن الأمثال القرآنية التى اهتمت بتربية عقيدة المسلم ، وجاءت لتؤكد قيمة الإيمان بالله تعالى وحده ، وتنفى عنه كل شريك ، قول الله تعالى: ((الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوٰة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم)) (٢)

قيل إنه المؤمن الذى جعل الله الإيمان فى صدوره فضرب الله مثله فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال نور من آمن به ... وقيل إن المشكاة هى كوة فى البيت ، وهذا المثل ضربه الله تعالى لطاعته فسمى الله تعالى طاعته نوراً ثم سماها أنواراً شتى . (٣)

قال تعالى ((الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)) (٤)

---

(١) محمد قطب : دراسات قرآنية ، مرجع سابق ، ص ٤٨٧ وما بعدها .

(٢) قرآن كريم : سورة النور ، الآية ٣٥ .

(٣) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٣٠١ .

(٤) قرآن كريم : سورة النور . الايتان ٣٩ – ٤٠ .

يضرب الله تعالى مثلين للكافرين والمنافقين ، مثل بالسراب ومثل آخر بالظلمات المتراكمة ، ويبين الله تعالى حال الذين قد يـأتون بأعمـال حسنة فى الدنيا ، لكن هذه الأعمال ليست لله ، فهؤلاء يحسبون أنهم على علم وهدى ، والحقيقة أنهم أهل الجهل والضلال يجهلون الحق ، يعـادون أهله ، وينصرون الباطل ويوالون أهله ، ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون ، فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائى السراب . (١) الذى يرى الأشياء فيظنها حقيقة وهى ليست كذلك .

هذه الأعمال قال الله تعالى فيها :((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا)) (٢)

إن الباطل لا حقيقة له ، وهو باطل كاسمه تماماً ، وإذا كـان الاعتقاد غير مطابق ولا حق كان متعلقه باطلاً ، كذلك إذا كانت غاية العمل باطلة – كالعمل لغير الله ، أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايتـه ، وتضرر عامله ببطلانه ، وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يـذهب عليـه عمله واعتقاده ، لا له ولا عليه ، بل صار معذباً بفوات نفعه ، وبحصوله ضد النفع . (٣)

لهذا قال الله تعالى : ((ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سـريع الحساب)) (٤) فهذا الضال الذى يحسب ، ويظن أنه على شئ من الهدى هو فى الحقيقة على ضلال .

---

(١) دكتور عبد الله شحاته : تفسير سورة النور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص ١٩٧ .

(٢) قرآن كريم : سورة الفرقان ،الآية ٢٣ .

(٣) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٤) قرآن كريم : سورة النور ، جزء من الآية ٣٩ .

أما المثل الثانى ، فيبين الله تعالى فيه حال جميع الكفار والمنافقين الذين يقضون حياتهم منذ بدايتها وحتى نهايتها على جهالة ، ولو كانوا حسب اعتبارات الدنيا كبار علمائها وأساتذتها الذين قد سبقوا سائر أهلها فى الفنون والعلوم والاختراع ، لكن مثلهم – حسب بيان القرآن الكريم – كمثل رجل يعيش فى مكان ليس فيه إلا الظلمة ، ولا ينفذ إليه من أى جانب شعاع واحد من النور . (١)

إن هذا المثل القرآنى يكشف حال الكفار والمنافقين ، وينفر منهم ويرغب فى العمل الصالح الذى جاء بحسب الشرع الحكيم ، وطبقه رسول الله (ﷺ) .

إن أصحاب الظلمة ، والظلمات المتراكمة هم الذين عرفوا الحق والهدى ولم يهتدوا ، بل آثروا عليه ظلمات الباطل والضلال ، فتراكمت عليهم ظلمة الطبع ، وظلمة النفوس ، وظلمة الجهل ، حيث لم يعملوا بعلمهم فصاروا جاهلين . (٢)

وهكذا يربى الله تعالى عباده من خلال الأمثال القرآنية فيضرب مثلين للكفار والمنافقين ، لكن المثلين صفتان لموصوف واحد ، وإذا كان أصحاب المثل الأول هم الذين عملوا على غير هدى ولا بصيرة ، ولا تخطيط ولا علم ، بل على جهل وضلال ، وتقليد وابتداع ، ظناً منهم أنهم يحسنون صنعاً ؛ فكان حالهم حال الضالين ، فإن أصحاب المثل الثانى هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى ، والباطل على الحق ، وجحدوا بعد

---

(١) أبو الأعلى المودودى : تفسير سورة النور ،الكويت ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت . ص ٢٠٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق . ص ١٥٧ .

معرفة وعلم فكان حالهم حال المغضوب عليهم ، والمغضوب عليهم والضالون تراكمت على كل منهم الضلالات والجهالات .

إن الله تعالى يضرب الأمثال القرآنية فى هذا المجال مستهدفاً تربية العقيدة ، ومؤكداً قيمة الإيمان فى نفوس المسلمين ، وجعل العمل خالصاً لوجه الله تعالى ، وموضحاً أن الكفر جهل وظلم وظلمة منقطعة عن نور الله الفائض فى الكون ، والكفر ضلال لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى ، ومخافة لا أمن فيها ولا قرار ... " ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور "

إن نور الله تعالى هدى فى القلب وتفتح فى البصيرة ، واتصال فى النظرة بنواميس وقوانين الله تعالى فى السموات والأرض .... فمن لم يتصل بهذا النور الإلهى والعنصر الربانى ، فهو لا محالة فى ظلمة لا انكشاف لها ، وفى مخالفة لا أمن فيها ، وفى ضلال لا رجعة منه .... (١)

ومن كان هذا شأنه فإن نهاية عمله سراب ضائع ، يقوده إلى الهلاك والعذاب ، وذلك لأنه كان عملاً بغير عقيدة صحيحة ، وكان صلاحاً ظاهراً، بغير إيمان ويقين قلبى ، امتن الله به عليه وهداه له وشرح له صدره ، فوفق له .

قال الله تعالى : ((للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم)) (٢)

إن قضية الشرك و قضية الكفر ينبعان من معنى واحد ، وأيضاً انحراف واحد ، ويختلطان فى الضمير البشرى وينشآن آثارهما فى النفس

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ؛ المجلد الرابع ، ص ٢٥٢١ .

(٢) قرآن كريم : سورة النحل ، الآية ٦٠

البشرية والحياة والمجتمع بكل أوضاعه ، وإذا ضرب الله تعالى المثل بالذين لا يؤمنون بالآخرة فهو مثل السوء المطلق فى كل شئ ، وفى الشعور والسلوك ، وفى الاعتقاد وفى العمل ، وفى التصور والتفاعل فى السماء والأرض ، ويبقى لله تعالى المثل الأعلى الذى لايقارن ولا يوازى بينه وبين أحد من خلقه ، إنه سبحانه الحكيم ذو المنعة والحكمة . (١)

تعقيب :

إن الله تعالى هو وحده الخالق البارئ المصور ، وله الأمر من قبل ومن بعد ، هذه الحقائق العظيمة فى عقيدة التوحيد المنزه عن كل شرك أو خلط فى المفاهيم والمعانى فى الإسلام ، ماذا تعنى فى تربية المسلم نفسياً وخلقياً ، وماذا تعنى لإنسانيته .

لا شك أن تربية العقيدة الصحيحة يترتب عليها تربية الشخصية المسلمة تربية صحيحة ، تربية تحرر هذه الشخصية من التبعية لغيرها من المخلوقين ، تربية تهدئ من نفسه من كل فزع أو هلع أو خوف ، تربية تحرر الإنسان المسلم من جميع المعبودات المخلوقة مثله ، تربية يبدأ معها إصلاح الفرد والمجتمع ، وبدون هذه العقيدة لا يتم إصلاح . (٢)

يضرب الله تعالى الأمثال القرآنية تربية لعقيدة الإنسان المسلم الذى استحق تكريم الله له فى البر والبحر وجعله مستخلفاً فى الأرض ، ويثبت القرآن الكريم هذا المعنى التربوى فى الإنسان من خلال قوله تعالى

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٧٩ .

(٢) الدكتورة آمنة محمد نصير : إنسانية الإنسان فى الإسلام ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٣٥ .

:((إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)) [١] ولن يستجيبوا إذا أبداً ، إن الله تعالى وحده هو مالك الملك . وهو المعز وهو المذل ، وهو الذى يعطى وهو الذى يمنع تبارك وتعالى : " ليس كمثله شئ " [٢]

إن التربية الإسلامية تربى الإنسان المسلم التربية العقدية من خلال الأمثال القرآنية ، إذ أن الهدف الأمثل للإنسان فى الإسلام هو عبادة الله تعالى ، والإيمان بعقيدة التوحيد ، هذه العقيدة هى المحددة لإطار السلوك البشرى فى كل زمان ومكان ، كما تعمل هذه العقيدة على تثبيت ثقة المسلم بنفسه وفى شعوره بالأمن والطمأنينة . [٣] وإن جوهر العقيدة فى الإسلام ، بل وفى كل الديانات السماوية هو التوحيد ، الذى يعنى أن الله تعالى واحد ، لا شريك له ، هذا التوحيد هو أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل [٤] .

وتتجلى أهمية التربية العقدية أيضاً فى بيان دور كل أسرة مسلمة فى تنشئة أطفالها على أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ولما كان كل مولود يولد على الفطرة كما جاء عن أبى هريرة (رضي الله عنه) أنه كان يقول قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم)" ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"[٥] ولما كان الأمر كذلك فإن للأسرة المسلمة أثرها التربوى

---

(١) قرآن كريم : سورة الأعراف ، الآية ١٩٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الشورى ، جزء من الآية ١١

(٣) دكتور عبد الجواد السيد بكر ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٤) دكتور أحمد السيد على رمضان : مرجع سابق ، ص ٢٢ .

(٥) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى . مرجع سابق ، الحديث رقم ١٨٥٢ ، ص ٤٨٤ .

الكبير فى نقل معرفة الله من خلال ممارسة العقيدة ، ومن خلال السلوك الإسلامى الذى يتسم بحب الله والبعد عما يغضبه وقول وعمل كل ما يرضيه تعالى .

وهكذا يكون تربية عقيدة الطفل المسلم داخل الأسرة المسلمة وتشكيل نظرته الأساسية واتجاهاته نحو معنى الحياة وقيمتها ، ومعنى الكون ومكانته فيه يكون من أدوار الوالدين تجاه طفلهما . (١)

إن القرآن الكريم يعمد إلى إصلاح بواطن النفس الإنسانية بأضواء التوحيد ، فإذا تمت استنارتها صلحت الظواهر واستقامت على الطريق ، ورأينا المؤمن أسرع شئ إلى أداء ما يحب الله وأسرع شئ إلى ترك ما يكره (٢)

ولا شك أن المدرسة تلعب دوراً مهماً فى التربية العقدية ، وذلك من خلال المناهج والمقررات الدراسية ، والتى تترجم من خلال سلوك المعلم وبالتالى نخرج أجيالاً تربت التربية العقدية الصحيحة ، وبذلك تعود اليقظة الإسلامية من جديد فيتم الإنقاذ عن طريقها ، إذ لا إنقاذ إلا بيقظة إسلامية تجعل التوحيد فلسفة حياة وروح أمه ، ونموذج ارتقاء أدبى ومادى (٣)، وذلك بتضافر جهود كل من الأسرة والمدرسة والمجتمع المسلم بكل مؤسساته التربوية .

---

(١) دكتور عبد الجواد السيد بكر : مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

(٢) الشيخ محمد الغزالى : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الطبعة الثانية – القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ ، ص ٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

• الأمثال القرآنية تؤكد قدرة الله تعالى

إن الله تعالى كما هو متصف بصفات الوجود القديم والبقاء والمخالفة للحوادث ... فإنه سبحانه وتعالى متصف بما يسمى بصفات المعانى ، ومنها صفة القدرة ، ويتجلى عظمته سبحانه وتعالى وقدرته وهيمنته الكاملة فيما عليه هذا العالم : المخلوق – بكل مظاهره وجزئياته من إتقان وإبداع وانتظام ودقة ، وما علينا إلا أن نلتمس قدرة الله تعالى فى النظام الذى خلقه والقوانين التى أخضعت لها جميع الظواهر والمخلوقات والأشياء ، وإذا كان فى مقدور الإنسان أن يفسر ما كان غامضاً عليه باكتشافه القوانين التى تحكمها إلا أن الإنسان عاجز عن أن يضع تلك القوانين ، وسيظل عاجزاً – وذلك لأن هذه القوانين من صنع الله وحده القادر ... إن وظيفة الإنسان تتوقف عند اكتشاف القوانين والنواميس المنظمة للظواهر والموجودات ، ثم استخدام هذه القوانين محاولاً بذلك إدراك بعض أسرار هذا الكون الفسيح الذى خلقه الله وقدره [١]

ولما كان الإنسان فى التصور الإسلامى وهو جزء من هذا الكون الفسيح ، مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، ... وقد ميزه الله على غيره من المخلوقات ليتحقق معنى استخلافه على الأرض ، لذا وجب عليه فهم الكون المحيط به ، واستغلاله لصالحه حتى يستطيع أن يحقق معنى الخلافة ، ولا يتم له ذلك إلا عن طريق التربية بالعقيدة الصحيحة وما تستوجبها هذه العقيدة فى الآفاق ، وفى الحياة والأحياء ، وفى الأنفس وكل تفصيلاتها وتفريعاتها ، وكل مقتضياتها فى واقع الحياة والنفس البشرية . [٢]

---

(١) الدكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٢) محمد قطب : دراسات قرآنية ، مرجع سابق . ص ٢١ .

إن العقيدة هى الموضوع الرئيسى فى القرآن الكريم كله ، وهى موضوع الأمثال القرآنية كلها ، وما ذلك إلا الهدف الأكبر هو تربية الإنسان، وتكوين ذاته ، ولما كان الأمر كذلك فقد جاءت الأمثال القرآنية لتذكر الإنسان دائماً بخالقه ، وبذلك تحاول أن تلمس أوتار قلبه بقضية العقيدة من كل جانب من جوانب شخصيته ، (عقلية ، جسمية ، ووجدانية) إنها تخاطبه فى جميع حالاته وفى كل أوقاته ، " مقبلاً ومدبراً ، صاعداً وهابطاً ، حى الوجدان ومتبلد الحس ، متفتح البصيرة ومغلق البصيرة ، مستثاراً وهادئاً ، متطلعاً وخائفاً ، ضاحكاً وباكياً ، مستكبراً و مستسلماً ، يقظاً وغافلاً، مستقيما على أمر الله ، وجانحاً عن السبيل " [١] أى فى كل حالاته وحيثما كان .

التربية الإسلامية بالأمثال القرآنية ، تربى الشخصية المسلمة تربية عقدية صحيحة إذ تخاطب النفس البشرية ، بل تحيطها من كل جانب، وتربيها تربية شاملة ، من خلال قدرة الله تعالى التى نراها فى صفحة الكون أمامنا هنا وهناك ، وفى الظواهر وفى المظاهر والمشاهدات من الأحداث الجارية حولنا ، وفى أنفسنا، وما يجرى فيها وما يعتريها ، وفى مشاهد الحياة الدنيا وتقلباتها وتغيراتها وفى مشاهد الآخرة وما أخبرنا القرآن الكريم عنه .

وتضع الأمثال القرآنية أمام الإنسان المسلم حقيقة واقعة ، فحوها أن الإنسان بصفة عامة ضعيف وعاجز منذ ميلاده ، وحتى وفاته وانتهاء أجله المحدد ، ويحتاج إلى من يقوى عجزه وضعفه ، ويعينه على الحياة التى يحياها ، وفى حالة العجز والعوز يقر الإنسان المحتاج أو المكروب

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

أنه فى حاجة إلى خالقه سبحانه القوى القدير لكن السؤال هنا : هل بانتهاء حاجة الإنسان إلى ربه فى شدته يستغنى عنه ويتكبر ؟ أم يستقر الإيمان فى القلب ويستقيم !!.

إن تربية الإنسان المسلم عن طريق الأمثال القرآنية ، تثبت عقيدته ، وبالتالى يحدث التكامل بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح ، وتطمئن النفس البشرية لقدرة الله تعالى وما عنده من الثواب للطائعين ، والعقاب للعاصين .

والمتتبع للأمثال القرآنية ،تتجلى لديه حقيقة مؤداها أن قدرة الله تعالى الخارقة ، تتجه دائماً إلى الحديث عن وحدة الألوهية باعتبارها الركيزة الأساسية والقاعدة الراسخة للتصور الإسلامى و التربية الإسلامية وانطلاقا من تلك القاعدة ، وهذا التصور يتوحد المعبود ، ويتجه إليه كل الخلائق بالعبودية والطاعة والانقياد ، وبالتالى يتلقى الإنسان قواعد السلوك البشرى الراقى ومبادئ الأخلاق العظيمة ، من مصدر موحد ، ومنهج محدد ، وشريعة سماوية ربانية ، هدفها إعداد المسلم ليكون خليفة على الأرض ليعمرها ويشيع السلام فيها حمداً لله وشكراً ، على ما أعطى ووهب وقدر وهدى .

جاء ذكر بيان قدرة الله تعالى الخارقة فى سورة البقرة ، والتى هى " من أجمع سور القرآن الكريم " (١) وتتجلى قدرة الله تعالى فى بيان سر الحياة والموت ، وحقيقة كل منها ، وإثبات الحشر ، والبعث بعد الفناء، وهما من عمل الله وحده ، المتفرد بالقدرة المطلقة والموصوف

---

(١) دكتور عبد الله محمود شحاته : أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص ١٣ .

بالكمال والجلال والجمال ، والأسماء الحسنى والصفات العلى ، والتــى لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، تعالى علوا كبيراً .

قال الله تعالى : " ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربــه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحى ويميت قال أنا أحى وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين " [١]

إن الحياة والموت والبعث والنشور بيد الله وحده ، ولا يقــدر أى مخلوق أن يأتى بها ولا يستطيع أى مخلوق أن يشارك الله فيها ، وهــذه الآية الكريمة والآيتين التى تليها تتناول موضوعاً واحداً هو سر الحيـــاة والموت ، وقدرة الله تعالى الخارقة على الإحياء والإماتة ، وهذه الآيــات تؤلف جانباً من جوانب التصور الإسلامى التى جاءت بها الأمثال القرآنية، لتربية المسلم على العقيدة الصحيحة ، وتنشئ لديــه التصــور الصــحيح لحقائق الوجود [٢] والحياة والموت .

وتأتى الآية التالية لتؤكد نفــس المعنــى أن الإحيــاء والإماتــة ظاهرتان مكرورتان فى كل لحظة ، معروضتان لحس الإنســان وعقلــه ، وهما فى الوقت نفسه – السر الذى يحير ، والذى يلجئ الإدراك البشــرى إلى مصدر آخر غير بشرى ، لحل هذا اللغز ، ألا وهــو الالتجــاء إلــى الألوهية ، القادرة على الإنشاء والإفناء [٣] ، ومن هنا تتربى الشخصــية الإنسانية التربية العقدية الصحيحة .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٢٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

إن الله تعالى هو القادر على كل شئ ، هو القادر على الإحياء والإماتة وهو وحده الذى يعرف سر الموت وسر الحياة ، وهو وحده الذى يقدرهما ، وهو وحده سبحانه القادر على خرق القوانين الكونية ، بإرادته، إنه سبحانه إذا أراد إيجاد شيء من عدم ، فإنما يقول له كن ، فيكون فى الحال ، لا تباطؤ ولا تأخير .

قال تعالى : " أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين قال أعلم أن الله على شئ قدير [١]

هكذا تربى الأمثال القرآنية الشخصية الإنسانية ، التربية العقدية القائمة على التصور الإسلامى الذى تقرره الآية القرآنية الكريمة من صفات الله تعالى المتجلية فى الوجود ، وفى الإنسان ، وأننا لا نعرف شيئاً عن حقيقة الحياة وحقيقة الموت وإن كنا ندرك مظاهرهما فى الحياة والأحياء ، والأموات ، إلا أننا ملزمون أن نكل مصدر الحياة والموت إلى قوة خارقة، ليست من جنس القوى التى نعرفها على الإطلاق ، إنها قوة الله [٢] وقدرته الخارقة التى نرى مظاهرها ولا نعرف قدرها وكنهها .

وتستمر الأمثال القرآنية فى تربيتها للشخصية المسلمة ، على معنى " أن الله على كل شئ قدير " . ويأتى المثل القرآنى بالصورة

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٢٩٨ .

المحسوسة الواضحة لمن أراد أن يتربى ويهتدى ، ويقر قراراً صادقاً يقيناً ويؤمن بقدرة الله الخارقة ، متمثلة فى إحياء الموتى – وهذه صورة متكررة فى حياة الناس والكائنات – ومتمثلة فى عودة الحياة لمن شاء – ولمن أماته الله مائة عام ، ثم بعثه بعد ذلك ، ولم يتغير طعامه ولم يفسد شرابه بعد مرور السنين الطوال .... هذا الفعل إنما يدل على عظمة الله وقدرته الخارقة وما يملك الإنسان العاقل إلا أن يسبح بحمد الله ، ولسان حاله على الدوام " أعلم أن الله على شئ قدير " .

وتأتى الآية التالية لتؤكد نفس المعنى ، قدرة الله تعالى الخارقة ، على إعادة الحياة بعد الفناء ، ولقد رأى الرسل – عليهم السلام – السابقون كلهم ، قدرة الله تعالى الخارقة من خلال المعجزات التى حققها الله تعالى لهم، أو حققها على أيديهم ، وها هو خليل الله إبراهيم عليه السلام [١] يسأل الله تعالى – عن كيفية إحياء الموتى ، مع يقينه الذى لا ينتابه شك فى طلاقة قدرة الله تعالى على هذا .

قال تعالى : " وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى فقال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم إجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم " [٢]

إن التجربة حسية وواقعية ، وملموسة تتعلق بالتربية العقدية ، متعلقة بوجود الإيمان وثباته وكماله وإستمراره واستقراره ، وليس طلباً

---

(١) دكتور عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٦

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .

للبرهان أو تقوية للإيمان ، إنه أمر الشوق الروحى إلى ملابسة السر الإلهى فى أثناء وقوعه العملى . (١)

تربى الآية الكريمة الشخصية المسلمة على اليقين بالله ، وطلاقة قدرته سبحانه ، وقد جاء أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – بأربعة من الطير وذبحهن ثم قطعهن ، ثم خلط بعضهن ببعض حتى اختلف ريشها ودماؤها ولحومها ، ثم أمسك برؤسها عنده وجزأها أجزاء على الجبال ثم دعاهن ، كما أمر الله تعالى فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم يطير إلى اللحم ، حتى عادت طيراً كما كانت ، وأتينه سعيا ، ليكون أبلغ له فى الرؤية لما سأل . (٢)

لقد رأى أبو الأنبياء – إبراهيم عليه السلام – السر الإلهى يقع بين يديه ، هذا السر الذى يقع كل لحظة وحين – الحياة والموت – ولا يرى الناس إلا آثاره بعد تمامه ، إنه سر الحياة ، الحياة التى جاءت بعد أن لم تكن، والتى تنشأ مرات لا حصر لها فى كل كائن حى جديد ، رأى طيوراً فارقتها الحياة ، وتفرقت ، مزقها بيده ووضعها فى أماكن متباعدة، ثم ينادى عليها ويدعوها ، فتدب الحياة فيها مرة أخرى وتعود إليه سعياً (٣) ... إنها طلاقة القدرة الإلهية ، وهى الترجمة الحقيقية لقول الله تعالى " واعلم أن الله عزيز حكيم " .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ،مرجع سابق ، ص ٣٠٢ .

(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ص ٣٢٣

أنظر : محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، القسم الأول ، بيروت ، دار القرآن الكريم . ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٥٢ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٠٢

واستمراراً لبيان قدرة الله المطلقة ، على إيجاد الخلق المطلقـة، وتربية الشخصية المسلمة ، التربية الإسلامية بالأمثال القرآنية ، يضرب الله تعالى المثل بعيسى وأدم – عليهما السلام ، فيقول تعالى :

" إن مثل عيسى عند الله كمثل أدم خلقه من تراب ثم قال له كـن فيكون " (١)

إن شان خلق عيسى – عليه السلام – عجيب وغريب فى عـرف المخلوقين من البشر ، لكنه الشأن العادى بالنسبة للمشيئة المطلقة ، فقد ولد من غير أب، وكذلك يخلق الله ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول لـه كن فيكون ، له الحكم وله الأمر ولا مانع لأمره ولا معقب لحكمه .

وإذا كانت ولادة عيسى – عليه السلام – عجيبـه بالقيـاس إلـى مألوف البشر ، ولكن أية غرابة فيها حين تقاس إلـى خلـق أدم عليـه السلام– إن العنصر الذى صار به أدم إنساناً هو ذاته العنصر الذى به ولد عيسى – عليه السلام – من غير أب ، إنه عنصر النفخة الإلهية فى هـذا وذاك ، وإن هى إلا الكلمة " كن " تنشئ ما تراد له النشأة " فيكون" بـأمر الله وقدرته المطلقة (٢)

لقد ضرب الله الأمثال لتربية الشخصية المسلمة عقـدياً ، حتـى يستقر فى وجدانها ، قدرة الله تعالى على الخلق والإعادة ، قال تعالى : –

" أو لم ير الإنسان إنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصـيم مبـين . وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قـل

---

(١) قرآن كريم : سورة ال عمران . الآية ٥٩ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن . المجلد الأول . ص ٤٠٥ .

يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون " (١)

ألم يتفكر الإنسان فى قدرة الخالق جل وعلا ، فيعلم إنه سبحانه وتعالى خلقنا نحن البشر من ماء مهين ، حقير ،وهو " النطفة " " المنى " الخارج من مخرج النجاسة ،وإذا كان لله تعالى قد خلق الإنسان من هذا الماء المهين ، بشراً موحداً ، عابداً لله تعالى ، قادراً على أن يكون خليفة على شرع الله ، وعلى حمل الأمانة التى كلفه الله بحملها أيعجز على رجعه مرة ثانية عند البعث والنشور ... لا شك أن الله الذى خلق من لا شئ ، قادر على الإعادة مرة أخرى بقدرته المطلقة ومشيئته الحرة الطليقة .

أو لم يستدل منكر البعث بالبدء على الإعادة ، فإن الله تعالى ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين ، فخلقه من شئ حقير ضعيف،وجعله فى قرار مكين ، خلقه من نطفة أمشاج ،أى من أخلاط متفرقة ،ولا شك أن الذى خلقه بهذه الكيفية من هذه النطفة الضعيفة قادر على إعادته بعد موته (٢)

ويسوق القرآن الكريم مثلاً – من أمثاله الكثيرة – يبين فيه قصة بدء الخلق وإعادة خلق الله تعالى السموات والأرض ، وهى أكبر من خلق

---

(١) قرآن كريم : سورة يس . الآيات ٧٧ : ٨٣ .

(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٥٨٩ .

– فى تصورات البشر – لكنها بالنسبة لقدرة الله تعالى وعظمتـه أهـون عليه، وهذا دليل قاطع على طلاقة القدرة الإلهية ، التى لا ينبغـى الشـك فيها أو إنكارها .

قال تعالى : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " (١)

إن من قدر على ابتداء الخلق من غير مثال سابق ، لا محالة قادر على إعادته وذلك لاستواء البدء والإعادة بالنسبة لقدرة الله الطليقة مـن كل قيد ، وإن من قدر على خلق الشيء الجليل لا محالة ، يكـون قـادراً على خلق ما هو أصغر ، الأمران مستويان فى جانب قدرة الله تعالى ،

إنه ليس هناك فى حق الله تعالى أهون ولا أصعب ، " إنما أمـره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون " (٢) ولكنه سبحانه وتعالى لما ضرب الأمثال القرآنية مستهدفاً تربية الإنسان إنما ضـربها ليخـاطبهم بحسـب إدراكهم وامكانتهم واستعداداتهم المحدودة ، ففى تقدير النـاس أن خلـق المخلوق أصعب من إعادته ، فما بالهم يرون الإعادة أمراً عسيراً على الله تعالى، وهو فى الحقيقة أهون وأيسر .... إنه هو العزيز القاهر الذى يفعل ما يريد ، الحكيم ، الذى يدبر الخلق بإحكام وتقدير (٣)

يذكر القرآن الكريم عدداً من الأمثال القرآنية الدالة على قدرة الله المطلقة ، منها قول الله تعالى " : ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أُخرج حيا . أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئا " (٤)

---

(١) قرآن كريم : سورة الروم . الآية ٢٧ .

(٢) قرآن كريمك : سورة يس ، جزء من الآية ٨٢ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٧٦٦

(٤) قرآن كريم : سورة مريم . الآيتان ٦٦ ، ٦٧ .

ومنها قوله تعالى : " قالوا أإذا كنا عظاما ورفاتاً أإنـــا لمبعوثـــون خلقا جديداً " (١)

وقولـــه تعالى :"فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر " (٢)

ومنها قولـــه تعالى " أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيـــده إن ذلك على الله يسير . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة . إن الله على كل شئ قدير " (٣)

هكذا يوجه الله تعالى السؤال إلـــى المكـــذبين المنكـــرين للبعـــث والحساب، بقوله تعالى : "أو لم يروا " وقد كان حرياً بهم بعد ما رأو مـــن الآيات الدامغة، والدلائل الساطعة والبراهين الواضحة ، على كيفية خلـــق الله تعالى لخلقه إبتداً من العدم ، وبدون مقدمات أو نماذج أو أمثلة سابقة، كان ينبغى عليهم أن يستدلوا بالمثال الأول (الخلق الأول) على الإعـــادة وهو بالنسبة لهم مثال آخر ، لكنهم لم يستوعبوا الدرس ولم يعوا أن من قدر على ضرب المثل فى القدرة على الخلق من عدم ، قادر أيضـــاً علـــى إعادة الخلق بعد الموت والفناء، وكان عليهم أن يعوا أن الله تعالى يضرب الأمثال للناس تبصره لهم وتربية لعقولهم وتقريباً للمعنى ، لكنه ســـبحانه وتعالى ليس فى حاجة إلى علة ، أو لا يعجزه شيئاً بدءاً أو إعادة ، حيـــاة أو نشوراً .

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، الآية ٤٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة الطارق ، الآيات ٥: ٩ .

(٣) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

قال تعالى : " أو لم يـــروا أن الله الـــذى خلـــق الســـموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم " (١)

لقد ضرب الله تعالى الأمثال القرآنية ، بهدف تربية الأمة التربية القرآنية الحقة، ولكى يقيم لها نظاماً فريداً وفق المنهج الكامل والتصور الإسلامى الصحيح ، وتأتى الأمثال القرآنية لتلفت الأنظار إلى العقيدة الحقة ، ومن مسلماتها أن الله هو العلى القدير ، القادر على كل شئ ، وأن أمره بين الكاف والنون ، وقد خلق الخلائق جميعاً من سماوات وأراضين ، وأنه سبحانه قادر أيضاً على أن يخلق مثلها ، ففيم العجب وفيم الغرابة من البعث وهو أهون على الله .
قال تعالى :" أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شئ قدير " (٢)

تدور معانى هذه الآيات الكريمات فى نفس مجال تأكيد قدرة الله المطلقة على الخلق والبعث والنشور ، ويأتى الاستفهام لا لطلب الإجابة ولكن لتوبيخ منكرى البعث والنشور من الكفار ، وتحقير تفكيرهم وقصور نظرهم ، واستنتاجاتهم العقيمة ، ويقول لهم إن الله جلت قدرته وحكمته وعظمته الذى خلق السماوات والأرض إبتداء من غير مثال سابق ، ولا نموذج كان ، ولمْ يعجزه ذلك الخلق الأول أو يضعفه ، ولم يتعب بخلقهن، هو الله القادر وحده على إحياء الموتى بعد فنائهم وموتهم والقادر على إحيائهم وبعثهم ونشورهم ، بعد تمزيق الأجزاء وتفتيت الأشلاء ، إنه

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، جزء من الآية ٩٩ .
(٢) قرآن كريم : سورة الأحقاف ، الآية ٣٣ .

سبحانه كما خلقهم أول مرة ، قادر على إعادتهم وإحيائهم ، وليس ذلك بمعجز له .

إن كتاب الكون يشهد بالقدرة المبدعة إبتداء لهذا الخلق الهائل ، السماوات والأرض ، ويوحى للحس البشرى بيسر الإحياء بعد الموت ، وهذا الإحياء هو المقصود ، وصياغة القضية في أسلوب الاستفهام والجواب أقوى وآكد فى تقرير الحقيقة (١) قال تعالى :

" يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون " (٢)

إن الله تعالى الذى لا يعجزه شئ ولا يعييه أى يتعبه شئ فى الأرض أو فى السماء ، ولا الحياة ولا النشور ، ولا البدء ولا النهاية ، قادر على أن يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، والنبات من الحب ، والحب من النبات ، والحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، ويحى الأرض بالنبات بعد جدبها ، كما يخرج النبات من الأرض ... ويضرب الله المثل بكل هذا فيقول كذلك يخرجكم من قبوركم يوم القيامة (٣) فهل فى إخراج الله المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، والنبات من الحب ، والحب من النبات .... إلخ ، من هذه الأمور ، هل فى هذا مشقة أو صعوبة أو عدم قدرة بالنسبة لله تعالى ، بالطبع لا ... فهكذا يكون إخراج البشر من القبور للنشور يوم القيامة .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ص ٣٢٧٤، ٣٢٧٥ .

(٢) قرآن كريم : سورة الروم ، الآية ١٩ .

(٣) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، القسم الثانى عشر ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٩ .

وهكذا فإن الأمثال القرآنية ، تأتى بهدف تربية الشخصية المسلمة على العقيدة الصحيحة ، فتلفت الأنظار للتدبر واستخلاص العبر والعظات ، والدروس التربوية ، واستخلاص النتائج من خلال الدلالات الحية والأمور المحسة ، المشاهدة تحت أنظار الناس واسماعهم ، والتى يمرون عليها ليل نهار ، وما على الإنسان العاقل إلا استخلاص المراد من الآيات الدالة على قدرة الله وحكمته ، والعمل بمقتضى هذا الإيمان وهذا اليقين القلبى .

إن الأمثال القرآنية تربى الشخصية المسلمة التربية الإسلامية القائمة على العقيدة الصحيحة والمرتكزة على التصورات الإسلامية الحقة لقضية الربانية والألوهية ، ليخرج المسلم فى نهاية المطاف ، وقد استقر فى وجدانه وقلبه وعقله مقولة " ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم " (١)

ويستقر فى وجدانه وقلبه وعقله ، قول الله تعالى :" ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " (٢)

- **تعقيب:-**

لما كان الإنسان – فى التصور الإسلامى – يولد مهيأ للمعرفة ومهيأ للتربية بحسب البيئة التى يعيش وسطها ، وذلك لكونه مزوداً بأدوات المعرفة " السمع والبصر والفؤاد " وعن طريقها يستطيع أن يتربى التربية الإسلامية الحقة المبنية على العقيدة السمحة ، باستخدامه – منذ نعومة أظفاره أدوات المعرفة ، التى يتعرف بها على العالم المحيط به ، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . كان على الآباء والأمهات أن

---

(١) قرآن كريم :سورة النحل ، الآية ٦٠ .

(٢) قرآن كريم : سورة الشورى . الآية ١١ .

يستثمروا هذا الضعف البشرى لـدى الطفـل وينشـئونه علـى العقيـدة الصحيحة ويوضحوا له عن طرق الأساليب التربويـة المتبعـة ، معنـى طلاقة القدرة الإلهية، وأن الله تعالى " ليس كمثله شئ " وأنـه سـبحانه وتعالى القادر قدرة مطلقة ، وأنه إذا أراد للشيء أن يقول له " كن فيكون

على الوالدين مسئولية تربية الطفل المسلم تربية عقدية صحيحة ، وذلك من خلال ممارساتها لشعائر هذه العقيدة ، وسلوكها سـلوكاً عمليـاً حسياً، ملموساً بحسب ما تمليه عليهما هذه العقيدة ، من سلوك وتصرفات وألفاظ ومضامين يكون هدفها تنشئة الطفل على حب الله وحب رسوله – صلى الله عليه وسلم – وعلى حب القرآن الكريم ، وحب العلـم النـافع ، واحترام العلم والعلماء والمعلمين .

تقع مسئولية تشكيل اتجاهات الطفل المسـلم ، وغـرس الأفكـار المتصلة بالعقيدة فى شخصيته على كاهل الآباء والأمهات وذلك عن طريق الحوار الهادئ والمناقشة المقنعة ، والرد على استفسارات الطفل بحسـب نموه العقلى والجسمى وبحسب متقضى ظروفه وإمكانياته .

إن توصيل التصورات الإسلامية الصحيحة للطفـل المسـلم هـى مسئولية الوالدين فى الأسرة – أولاً وقبل أن يلتحق بالمدرسة التى تقـدم العملية التعليمية عن طريق المناهج الدراسية المناسبة لكل مرحلة دراسية كما تقع مسئولية بناء الاعتقاد السليم للأطفال على الوالدين ، ويتم ذلـك عن طريق الأسوة الحسنة فى الأسرة ، إذ أنهما أقرب الناس إلى الطفل ، وأكثر تأثيراً فى شخصه ، ويم ذلك عن طريق التعقل والتفكير السليم، من أجل الوصول إلى حقائق الإيمان بالله تعالى ، على قدر استيعاب الطفل .

الوالدان مسئولان عن تربية الطفل ، إذ الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، وهى المحضن الأول للطفل ، وإذا قامت الأسرة على تربية الطفل تربية قائمة على توحيد الله تعالى ، وكان توحيداً خالصاً لا تشوبه شائبه من شوائب الضلال أو الانحلال أو الانحراف ، فإن ذلك يؤثر فى حياة الطفل تأثيراً إيجابياً فى كل مجالات حياته وكل مراحل نموه .

على الوالدين أن يضعا خطة تربوية قائمة على التوحيد الخالص ، وذلك بغرض تنشئة أطفالهما على هذا التوحيد الخالص ، ويمكن أن تتم هذه الخطة على الوجه الآتى :-

(١) أن يكون قائماً فى ذهن الأبوين أنه لن يكون فى وسعهما التأثير القوى فى شخصيات أطفالهما إلا إذا كانا يمثلان للطفل القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، وبغير ذلك يكون التأثير عكسياً . ويكون شعارهم : " لا تنه عن خلق وتأتى بمثله " ....." فلا تطلب من طفلك أن يكون صادقاً وأنت غير صادق " ، ولا تطلب من طفلك أن يكون نظيفاً وأنت لست حريصاً على النظافة ، ولا تطلب من طفلك المحافظة على المواعيد وأنت لا تحافظ عليها ، ولا تطلب من طفلك الوفاء بالعهود والمواثيق وأنت مضيع لها ، ولا تطلب من طفلك أن يكون نموذجاً للطفل المسلم وأنت لست نموذجاً لأطفالك والمحيطين بك .

(٢) أن يقوم الوالدان بمراقبة النمو المعرفى عند أطفالهما ، فكما أن الطفل فى حاجة إلى النمو الجسمى الصحيح ،عن طريق الغذاء والدواء ، فإن عقله فى حاجة إلى نمو معرفى قائم على المنطق الصحيح والتصور الإسلامى الحق . وهذه إحدى وظائف الآباء والأمهات داخل الأسرة المسلمة ، حفاظاً على النشء ، ومن حق

الطفل أن يعرف ويسأل ، والواجب على الآباء والأمهات تزويد الأطفال بالمفاهيم الصحيحة والتصورات السليمة والمعلومات النافعة، بحسب السن والنمو العقلى ، قدر الإمكان وهذا الأمر يلقى على الآباء والأمهات مهمة تثقيف ذواتهم أولاً ثقافة إسلامية صحيحة أولاً ، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه .

(٣) على الوالدين أن يعلما أن الإنسان كائن اجتماعى ، لابد له من الأصدقاء ولا يستطيع الآباء والأمهات أن يسدا هذا الباب ، أو أن يختاروا للطفل صديقه أو صاحبه ، فهو الذى يختار بحسب سنه ، ورؤيته فى صديقه ، وما على الوالدين إلا التوجيه والمراقبة ، باللين لا بالشدة .

وبهذا يمكن للوالدين أن يسهما فى تربية الطفل المسلم تربية عقدية صحيحة ، وذلك لكونهما ضربا أروع الأمثلة للأطفال ، وكانا جديرين بأن يكونا قدوة حسنة لهم وأسوة طيبة ، تربى التربية العقدية الحقة .

- الأمثال القرآنية تربى عقل المسلم :

التربية العقلية هى التربية القائمة على تحديد خصائص التصور الإسلامى لقضية الألوهية والعالم والإنسان .

إن أهداف التربية الإسلامية بالأمثال القرآنية مرتبط بالتربية العقلية والتى قوامها الإقناع والتدبر والتفكير المنطقى السليم ، والقياس والانتقال من النظير إلى النظير ، وذلك وصولاً لتحديد خصائص التصور الإسلامى للقضايا الإسلامية (الله والعالم والإنسان) ، وبالتالى معرفة حقيقة مركز الإنسان ومكانه ومكانته فى هذا العالم الذى يعيش فيه ،

وماهى غاية وجوده ، وهنا يتبين دور الإنسان فى الكــون وحــدود هــذا الدور، ووظائفه وعلاقته بخالقه سبحانه وتعالى ، وبالعالم المحيط به .

وتهدف التربية العقلية من خلال الأمثــال القرآنيــة إلــى تربيــة الشخصية المسلمة عن طريق الالتزام بــبعض المبــادئ والأساســيات ، ومنها:-

١) أسلوب التفكير العلمى الصحيح ، والابتعاد عن الظن والتخمين .

٢) التفكير التأملى فى كل مفردات وعناصر الكــون الفســيح ، وذلــك لاستخلاص العبرة والعظة والدرس التربوى من خلال تناسقه وإبداع صنعه، واتساق نواميسه ، وانسجامها ، وتسخيرها لخدمة وســعادة الإنسان .

٣) حب الحقيقة والبحث عنها ، والاقتناع بهــا أيــا كــان مصــدرها ، فالحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها فهو أولى الناس بها ، وذلــك يستدعى عدم التحيز الانفعالى أو العاطفى ، والانصات لصوت العقل، بعيداً عن الهوى والتحيز .

٤) الأخذ بالأسباب ، المناسبة والمتاحة ، والابتعــاد عــن الارتجاليــة والإتكالية ، وعلى الإنسان أن يعى أن عليه الأخذ بالأسباب ولــيس عليه إدراك النتائج .

٥) الاستفادة من الطاقات العقلية للإنسان ، كل فى مجال إبداعه وتفوقه، وذلك من أجل حياة أفضل ومجتمع ناهض قائم على العــدل، وقــائم على التعاون المثمر .

ما أرفع الإنسان الذى ميزه الله تعالى على الحيــوان ، واختصــه بالعقل والتفكير ، والنطق ، والقدرة على التمييز بــين الخيــر والشــر ؛ وميزه بالقدرة على التخيل والإبداع ، وفضله على كثير ممن خلق (١)

---

(١) دكتور أحمد الحوفى : تأملات إسلامية ، القاهرة ، مؤسســة الخلــيج العربــى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٩٨م ،ص ١١٤ .

تعمل التربية العقلية من خلال الأمثال القرآنية على تربية الشخصية المسلمة من خلال لفت الأنظار والانتباه لكل ما فى الكون من موجودات ، وإثارة الانفعال نحوها ، فى ضوء فهم الإنسان حقيقة الألوهية وحقيقة الكون وحقيقة الإنسان ، وما بين هذه الحقائق جميعها من وشائج وصلات .

*تربى الأمثال القرآنية الإنسان المسلم التربية العقلية من خلال التصورات الإسلامية الصحيحة للكون والإنسان والحياة ، وهذا التصور بلا أدنى شك – يعد أشمل وأكمل وأتم تصور عرفته الإنسانية ، وذلك لأن مصدره إلهى ، شامل ، كامل ، لا يأخذ جزءاً من الصورة على حساب جزء آخر ولا يعلى من قدر الماديات على المعنويات ، ولا المعنويات على حساب الماديات ، وإنما يأخذ الوجود كله مادياً ومعنوياً ، بشهوده وغيبه، دون تفضيل أو تقليل لجانب على حساب جانب آخر .

التصور الإسلامى يبدأ من الحقيقة الإلهية ، التى يصدر عنها كل الوجود ثم يسير مع هذا الوجود فى كل صوره وأشكاله وكائناته وموجوداته إن الله هو الخالق المصور ، القادر المهيمن ، العزيز الحكيم، وكل ما فى الوجود مخلوق لله تعالى ..... ولا يقع فى الوجود إلا ما يريد أن يقع ، ولا يكون شئ إلا ما أراد أن يكون . (١)

إن كل الصفات المحمودة تستند فى مرجعيتها إلى الله تعالى ، ولا يجوز للإنسان أن يصف الله تعالى بصفة مما يوصف بها البشر إلا بما وصف به ذاته سبحانه وتعالى .

---

(١) محمد قطب : منهج الفن الإسلامى ، الطبعة السادسة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٦ .

كما لا يجوز أن نصف الله بصفات غير الصفات التى وصف بها ذاته، كذلك لا يجوز أن نضرب له الأمثال ، قال تعالى : " فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ". (١)

أى لا تضربوا لله تعالى الأمثال ، إنه سبحانه وتعالى ليس له مثال ، حتى تضربوا له الأمثال . (٢)

إن الله تعالى يضرب لذاته العلية الأمثال ، ولا يجوز لنا أن نضرب له الأمثال وذلك لأنه سبحانه يعلم ونحن لا نعلم . (٣)

يضرب الله تعالى مثالين للسيد المالك الرازق ، وللمملوك العاجز الذى لا يملك ولا يكسب ، وإذ يضرب المثالين على هذا النحو إنما ليقرب الحقيقة التى غفل عنها كثير من الناس ، مؤداها أنه ليس لله مثال " وما يجوز أن يسووا فى العبادة بين الله تعالى وأحد من خلقه (٤) قال تعالى :

" ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ، وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " (٥)

---

(١) قرآن كريم : سورة النحل ، الآية ٧٤ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٨٣ .

(٣) محمود بن الشريف : مرجع سابق ، ص ١١٧ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٨٣ .

(٥) قرآن كريم : سورة النحل ، الآيتان ٧٥ ، ٧٦ .

إن المثال الأول مأخوذ من واقع الناس ، فقد كان لهم عبيد مملوكون لا يملكون شيئاً ، ولا يقدرون على شئ ، وهم لا يسوون بين العبد المملوك والعاجز والسيد المالك المتصرف ، فكيف يسوون بين سيد العباد ومالكهم وبين أحد أو شئ مما خلق ؟ (١)

إنه إذا كانت أهمية العقل فى حياة الإنسان من حيث كونه قوة مدركة فى الإنسان ، خلقه الله ليكون مسئولاً عن أعماله (٢) ومميزاً لما يختار ، فكيف تم لهم هذا الأمر فى تسويتهم لسيد العباد الذى هو مالكهم ، وبين أحد من خلقه ، إن هذا قياس باطل لا يتفق مع عقل صحيح ، ولا يقبله منطق سوى .

أما المثال الثانى الذى ضربه الله تعالى موبخاً فيه الذين اتخذوا آلهة غير الله يعبدونها ، فيصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذى لا يدرى شيئاً ولا يعود بخير ، والرجل القوى المتكلم الآمر بالعدل ، الفاعل المستقيم على طريق الخير ، ولا يسوى عاقل بين هذا وذاك ، فكيف يمكن التسوية بين صنم أو حجر ، وبين الله تعالى وهو القادر العليم ، الهادى إلى الصراط المستقيم (٣) لاشك أن هذا يدل على قصور وخلل فى عقولهم وضعف فى تفكيرهم ، ومرض فى تصوراتهم إن سووا بين الصنم وبين الله فى العبادة، وكان أجدر بهم أن يختاروا اختياراً عقلياً صحيحاً فيعبدوا الله ولا يعبدو غيره لأنه هو الخالق وهو الرازق وهو المحى وهو المميت وهو المستحق للعبادة وحده .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٨٣ .
(٢) دكتور عبد الجواد السيد بكر ،مرجع سابق . ص ١٩٩ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع . ص ٢١٨٤ .

* لا تضربوا الأمثال لله تعالى ، أى لا تصفوه بصفات غيره ، ولا تشبهوه بغيره ، ولا تمثلوا له الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه ، فإنه تعالى ليس له كفوا أحد ، وليس له نظير ولا ند ولا قرين ، ولا مساو ، تعالى الله على ذلك علوا كبيراً ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض .

قال تعالى : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " [١]

أى ليس له مثيل يتشبه بمثله أو مثيله ، إنه هو السميع البصير تعالى على الند ، وتعالى على النظير ، سبحانه وتعالى واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له كفواً أحد .

وإذا كانت الأمثال تضرب " لمن غاب عن الأشياء ، وخفيت عليه الموجودات ، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال ، إذ قد خفيت عليهم الأشياء ، فضرب الله لهم مثلاً من عند أنفسهم ، لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم فأما ما لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء فلا يحتاج إلى الأمثال[٢] لأن الكون كله صنعته والسموات والأرض قبضة يمينه ورهن مشيئته ... وليس يخاف عليه شىء .

* وهكذا نرى أن الأمثال القرآنية هى نوع من الحكمة الإلهية ، يضربها الله للناس لعلهم يهتدون ، بما أدركوه عيانا ، ولقد كان من تدبير الله تعالى وحكمته أن ضرب الأمثال للناس من أنفسهم ، وذلك لحاجتهم إليها حتى يعلموا ويتعلموا ويتربوا بها ، ويعلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم فيؤمنوا بالله رباً خالقاً ، قادراً ، رازقاً ، واحداً .

---

(١) قرآن كريم : سورة الشورى . جزء من الآية ١١ .

(٢) محمود بن الشريف : مرجع سابق . ص ١١٨ .

لله تعالى أن يضرب الأمثال ، تقريباً للإدراك ، قال تعالى :-

" الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم " (١) .

إن المثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود ، ويرسم النموذج المصغر الذى يتأمله الحس ، حين يقصر عن تملى الأصل ، وهذا المثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشرى الحسير . (٢)

إن صفة نور الله تعالى – فى وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والنور ، وإنما شبه بالمشكاة – وإن كان نور الله أعظم ، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار ، وأن الله تعالى حين يضرب المثل بنوره " مثل نوره " فإنما يضرب المثل ليبين لهم الأمثال تقريباً لإفهامهم ، واعتباراً لعقولهم حتى يتعظوا بما فيها من الأسرار والحكم (٣)

وتعليقاً على قول الله تعالى " يضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم " يمكن الوقوف على معنين هما :-

---

(١) قرآن كريم : سورة النور ، الآية ٣٥ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٥١٩ .

(٣) محمد على الصابونى:صفوة التفاسير- القسم العاشر،بيروت،دار القرآن الكريم ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ص ٢١، ٢٢ .

المعنى الأول

أن الله تعالى يعلم أى نوع الأمثال يضربه ليكون أنفع للناس ، فى إفهامهم حقيقة من الحقائق ، ومعنى من المعانى ..

المعنى الثانى

إن الله سبحانه وتعالى يعلم من يستحق الهداية ممن لا يستحقها ، فمن كان لا يطلب النور ، وكان منغمساً فى طلب أغراضه الدنيوية ، ولذائذه، ومنافعه المادية ، فليس لله تعالى حاجة إلى هدايته ، إلى صراط الله المستقيم، وعلى هذا فإن المنحة لا يستحقها إلا من يعلم الله سبحانه وتعالى أنه جاد فى طلبها ، يسعى إليها فى إخلاص . (١)

*من الأهداف التى تتصل بالتربية العقلية من خلال الأمثال القرآنية، تربية الإنسان على النظر فيما حوله ، بهدف البحث عن الحقيقة، وتتبعها وتحليلها واستخلاص النتائج والعبر . وذلك من خلال التصور الإسلامى فى الكون .

يربى الإسلام الشخصية الإسلامية على التفكير فى خلق الله واكتشاف قوانين الله فى هذا الكون الذى يعد آية من آيات الله الكبرى ومعرضاً لطلاقة قدرته وإرادته وما دام العقل هبة من الله تعالى فيجب على الإنسان المؤمن بالله أن يصون هذه الهبة العظمى عما يدنسها من الشرك أو الإلحاد أو الكفر ما دام العلم نتاجاً للعقل ، فإنه نعمة كبيرة جداً يجب على كل صاحب عقل أن يكون شكره لله على نعمته تسامياً بنتاجها عن استخدامه فى ما لا يرضى الله (٢)

---

(١) أبو الأعلى المودودى : تفسير سورة النور ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) دكتور أحمد الحوفى : مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

ينقسم الكون فى التصور الإسلامى إلى كون محسوس وكون غير محسوس فالكون المحسوس هو الكــون المــادى المنظــور، والمرئــى بظواهره، من سماء وأرض وشمس وقمر وكواكب ، وأمطــار وأنهــار ، وبحار واشجار وجبال ودواب .. ويسمى عالم الشهادة ، أما الكون غيــر المحسوس فهو الذى يسمى عالم الغيب ، ومن هذا الكون الروح والملائكة والملأ الأعلى والجن ....الخ .

الكون كله مخلوق لله تعالى ، ويضرب الله الأمثال بخلقــه الخلــق للدلالة على طلاقة قدرته وأنه القادر على بدء الخلق ومن ثم لا يعجزه أن يعيده ، قال تعالى : " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليــه ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " (١)

إن الكون كله مخلوق لله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثــم يعيــده بقدرته وإن " الإعادة أهون على الله تعالى مــن البــداءة وإن كــان الله يخاطب عبادة بما يعقلون ، قائلاً لهم : " إذا كانت الإعــادة أســهل مــن الإبتداء فى تقديركم وحكمكم فإن من قدر على الإنشاء وكان البعث أهــون عليه حسب منطقكم وأصولكم . " (٢)

لله سبحانه وتعالى المثل الأعلى الذى ليس لغيره ما يشاركه فيه ، وليس هناك شئ أهون على الله ولا أصعب ، " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون " (٣)

---

(١) قرآن كريم : سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٢) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير، القسم الثانى عشر،مرجع سابق ، ص ١٢

(٣) قرآن كريم : سورة يس ، آية : ٨٢ .

إن الله يخاطب الناس ، بحسب إدراكهم إذ فى تقـديرهم أن بـدء الخلق أصعب من إعادته ، فما بالهم يرون الإعادة عسيرة على الله ، وهى فى طبيعتها أهون عليه وأيسر " وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم " [١] الذى يفعل ما يريـد والمـدبر للخلـق بإحكـام وتقدير.

إن ضرب المثل ببدء الخلق وإعادته ، يتضمن " حجة برهانية على قدرة الله الخالق على إعادة الخلق بعد فنائه ، لأن من قدر علـى إبتـداء الخلق لابد أن يكون قادراً على إعادته لاستواء البدء والإعادة فى الواقـع بالنسبة إلى قدرة الخالق القادر الذى إذا أراد شيئاً فإنما يقـول لـه كـن فيكون ذلك الشىء ، لأن من قدر على خلق الشىء العظيم الكبير لابـد أن يكون قادراً على خلق ما هو أقل وأصغر منه " [٢]

وفى نفس المعنى ، حول التربية العقليـة ، تبـين لنـا الأمثـال القرآنية، قدرة الله تعالى على الخلق والإعادة من خلال سورة الأنبياء فى قوله تعالى :- " كما بدأنا أو خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين " [٣]

وقال تعالى : " أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه

---

(١) قرآن كريم : سورة الروم، جزء من الآية ٢٧.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى – مرجع سابق ، ص ٤٦.

(٣) قرآن كريم : سورة الأنبياء : جزء من الآية ١٠٤ .

توقدون * أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون * " (١)

إن الإنسان جزء أصيل من هذا الكون ، وهو مخلوق لله تعالى من أصلين الأول مادى (أرضى) والآخر معنوى (روحى) لقد خلق الله تعالى الإنسان وسخر له كل الكائنات لخدمته ، كرماً وفضلاً من الله ، قال تعالى : " **ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** " (٢)

وقد منح الله الإنسان العقل وجعله مناط التكليف والمسئولية ، والثواب والعقاب ، ودعاه إلى التفكير والتأمل ، والتدبر فى الظواهر الكونية المحيطة به ، والعلل والأسباب ، وذلك بهدف تحقيق العبودية لله رب العالمين ، وبالتالى تحقيق الاستخلاف على منهج الله .

إن الله تعالى كرم الإنسان وأعلى من شأنه بنعمة العقل والعلم ولم يتركه لعلمه وعقله فقط ، فبعث إليه الرسل هداة بشرائع الله ودعاه إلى الخير والحق والعدل ، وفتح أمامه ميادين العمل ، وحبب إليه الحياة لينظر إليها برغبة وتقدير وأمل ، وليتعرف على كل ما الأرض ، وليحاول أن يعلم أسرار الوجود والموجودات وينتفع بكل ما سخره الله له (٣) ليزداد شكراً لله وحمداً .

---

(١) قرآن كريم : سورة يس : الآيات من ٧٧ : ٨٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة لقمان : آية ٣٠ .

(٣) دكتور أحمد الحوفى : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

قال تعالى : " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " (١)

إنها دعوة من الله تعالى للإنسان بصفة عامة ، وفى كل زمان ومكان . أن ينظر ويتفكر ، ويستخرج القوانين الإلهية ، من خلال الظواهر الكونية ، والآيات الدالة على قدرة الله تعالى المطلقة ، فضلاً من الله ونعمة .

ولما كانت الأمثال القرآنية لوناً من ألوان الهداية الإلهية ، تحض الإنسان على الخير وتدفعه إليه ، وتبين له سبيل الرشاد وتدفعه إلى الفضيلة والحكمة وتربيتة التربية الإسلامية التى كان عليها رسول الله (ﷺ) وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، من أجل ذلك ضرب الله الأمثال القرآنية ، قال تعالى :- " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " (٢).

وقال تعالى : " ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون " (٣).

وقال تعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون " (٤).

وقال تعالى : " ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون " (٥).

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة : آية ١٦٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، آية ٤٣ .

(٣) قرآن كريم : سورة إبراهيم ، الآية ٢٥ .

(٤) قرآن كريم : سورة الحشر ، الآية ٢١ .

(٥) قرآن كريم : سورة الزمر . الآية ٢٧ .

تقوم التربية العقلية عند الإنسان المسلم على عدة ضوابط ومعايير ومنها على سبيل المثال :-

(١) الابتعاد عن الظن أو التخمين ، والرجم بالغيب .

(٢) عدم التحيز الانفعالى أو العاطفى أو تغليب العاطفة على العقل .

(٣) الاعتماد على منهج التفكير العلمى المناسب .

(٤) الأخذ بكل الأسباب العقلية ، المشروعة ، المناسبة للموقف .

(٥) تحويل ما تم فهمه – حقيقة أو مفهوماً أو فكرة أو قيمة ... إلى ممارسة فى عالم الواقع بمعنى إنزال الفكر إلى عالم التطبيق من اجل خدمة المجتمع . (١)

كان المؤمنون الصادقون فى بدء الدعوة الإسلامية قلة مستضعفة فى مواجهة لأعداد كبيرة كافرة ظالمة ، ولما كان هؤلاء المستضعفون من الرجال حديثى عهد بالدين الجديد لذا اقتضت حكمة الله من أجل هـذا " أن تقدم لهؤلاء المستضعفين وقوداً يستمدون منه القوة وزاداً يستعينون بـه على تمكين العقيدة وتثبيت مفاهيمها حتى تجد فى نفوسهم أرضا خصـبة تنبت فيها وتزهر ، من أجل هذا اتجهت بعض آيات القرآن الكـريم إلـى ضرب الأمثلة للمؤمنين " (٢) تخبرهم أن الابتلاء ليس بمقصـور علـيهم وحدهم ، وأن المؤمنين السابقين أوذوا فى سبيل عقيدتهم ، وأخرجوا من ديارهم ظلماً، ونزل بساحتهم من العناء والابتلاء والمحن ، ما كان فـوق طاقتهم وجهدهم ، وما بذلوه فى سبيل دفعه ومكافحته الكثير من جهودهم وجهادهم وجهدهم ، وما زادهم كل ذلك إلا إيماناً واستمسـاكاً بعقيـدتهم وتصميماً على استمرار الجهاد فى سبيل دعوة الحق حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا زتلك سنة فى خلقه ، ليمحصهم ويعلم المجاهدين .

---

(١) دكتور على أحمد مدكور : منهج التربية فى التصـور الإسـلامى ، دار النهضـة العربية ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠ م ، ص ٣١٥ .

(٢) محمود بن الشريف : مرجع سابق ، ص ٢١ .

قال تعالى : " ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " (١)

وقال تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب " (٢)

وقال تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " (٣)

وقال تعالى : " لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً و إن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور " (٤)

وهكذا تربى الأمثال القرآنية المسلم على التفكر واستخلاص العبر من الدروس التاريخية والوقائع والأحداث الماضية ، التى حدثت للأمم السابقة ، ومن خلال الآيات والأمثال القرآنية يربى المسلم ويوجه وتصقل شخصيته وتقوى إرادته ، وتقوم نفسه وما ذلك إلا لكون " المؤمنون أصحاب رسالة وأهداف ، لذا كانت تبعاتهم أكثر ومسئولياتهم أخطر ،

---

(١) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، آية ١ .
(٢) قرآن كريم : سورة البقرة . الآية ٢١٤ .
(٣) قرآن كريم : سورة ال عمران ، آية ١٤٢ .
(٤) قرآن كريم : سورة ال عمران ، آية ١٨٧ .

والحفاظ على ذلك كله يستلزم المزيد من المكابدة والمجاهدة والمجالدة والمغالبة " (١)

إن التصور الإسلامى للإنسان جزء أصيل من هذا الكون الفسيح الذى خلقه الله بقدرته ، ومن رحمة الله تعالى بهذا المخلوق أن كرمه تكريماً عظيماً ، وسخر له كل ما فى السموات والأرض ، ومنحه من النعم والهبات الظاهرة والباطنة ، وفضله بالسيادة على كل ما خلق وبرأ وسوى، ولم يفضل عليه غيره من كل الأجناس والأنواع ، وكل ذلك ليتفكر الإنسان ويتدبر ، ويهتدى إلى الحق ويعمر الأرض بمنهج الله الذى هداه إليه، ويقيم حدود الله فى الأرض ليعم الأمن والآمان ، فيسعد الجميع فى الدنيا ويفوزوا برضوان الله فى الآخرة .

قال تعالى : -" ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة " (٢)

وقال تعالى : " وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه " (٣)

وقال تعالى : " ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم " (٤)

---

(١) محمود بن الشريف : الأمثال فى القرآن ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة لقمان ، الآية ٣٠ .

(٣) قرآن كريم : سورة الجاثية ، الآية ١٣ .

(٤) قرآن كريم : سورة الحج ن آية ٦٥ .

- **تعقيب :**

تربى الأمثال القرآنية الشخصية المسلمة علـــى التفكيــر العلمـــى والذى يبدأ مع الطفل فى أسرته ومن خلال والديه ، ويعد هذا الأسلوب هو أسلوب العقل الإنسانى ، الذى يستطيع عن طريقة التمييـــز بـــين الحـــق والباطل، وبين النور والظلمة وذلك لكون الإنسان يبدأ الاقتداء منذ طفولته فيتأسى بوالديه طفلاً ، ثم يقتدى بهما وبغيرهما بعد ذلك ، فيشب على ما استحسنه من والديه ، ويكبر وهو راض عما ترتضيه البيئة من حق وخير وعادات ومثل وقيم نبيلة فإذا ما نضج كان له حق النقد أو الأخذ ، وأيضاً حق رفض غير الصالح ، ولكنه فى كل أحواله مشدود إلى الأسرة الطيبـــة وخير أسوة له والداه [١].

إن حب الحقيقة والسعى من أجل الحصول عليها ، وتحقيقها يعـــد هدفاً من أهداف التربية الإسلامية عن طريق الأمثال القرآنية التى تعـــود الإنسان المسلم على التواضع أمام الحق مهما كان مصدره ، كمـــا تربـــى المسلم على مقولة الإمام الشافعى : " رأينا صواب يحتمل الخطـــأ ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب " أى تربيه على التواضـــع وعـــدم الغـــرور ، وتغليب صوت العقل ، على الظن والتخمين .

ومعنى هذا أن التربية العقلية من المنظور الإسلامى ، هى تربيـــة بعيدة عن الهوى ، متجردة ، وليست متحيزة ، ولا مغرضة .

التربية العقلية من خلال الأمثال القرآنية ، تهدف إلى التزود بالعلم والمعرفة من أجل العقل وتحقيق النهضة والتقدم للمجتمع المنشود وســـط عالم متغير ومتطور تطوراً سريعاً ومتلاحقاً ، وأخذاً بأساليب العلم الحديث

---

(١) دكتور أحمد الحوفى : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

والتقنية ، ولاشك أن لمؤسسات التربية الإسلامية دورها المهم فى التربية العقلية بداية من الأسرة ومروراً بالمدرسة ثم المسجد ، ووسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية "وانتهاء " بالمجتمع المسلم بكل ما فيه من مؤسسات اجتماعية تساهم فى عملية التربية .

إن التربية العقلية تأخذ بكل علم نافع ، ولا تقبل من المسلم أن يلغى عقله ، بل تدعوه أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد من منطلق إسلامى يرى أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فى كل العصور والأزمان .

لاشك أن العقل منحة من الله تعالى ، وهبها إياه ليسطر بها على جميع القوى المدركة ويفصل به بين الخير والشر وبين الجمال والقبح ، وبين النافع والضار، ولهذا دعا الله الإنسان إلى النظر والتفكير والتدبر فيما خلق الله من أجل سعادة الإنسان على الأرض ، وسعادته الدائمة فى النعيم المقيم فى الجنة التى أعدها لعباده الذين اتقوه وعبدوه وتفكروا فى خلق السموات والأرض ، وأخذوا العبرة والدرس والحكمة من هذا الخلق، ومن هذا الكون ، الدال على قدرة الله تعالى .

عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة المسلمة ، يمكن للوالدين أن يضربا الأمثال للأطفال ، تدليلاً على قدرة الله وعظمته ، وأنه سبحانه وتعالى فضل بنى أدم وكرمه ورزقه من كل الطيبات ، وذلك من خلال قوله تعالى : ((ولقد كرمنا بنى أدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) (١) .

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

ويستطيع الوالدان أن يوضحا لأطفالهما ، كيف شرف الله تعالى بنى أدم وكرمه على جميع خلقه ، بأن جعله فى أحسن الهيئات ، فهو يمشى قائماً منتصباً على رجليه ، ويأكل بيديه ، وهناك من الحيوانات التى يراها الطفل وربما تكون معه فى نفس البيت الذى يعيش فيه ، تمشى على أربع .. كما جعل الله للإنسان سمعاً وبصراً وعقلاً يفكر به فيما حوله ، وينتفع به ويميز به بين الأشياء ، ويعرف منافعها ومضارها .. ألا يدل ذلك كله على قدرة الله تعالى واختصاصه الإنسان بالتكريم فتبارك الله أحسن الخالقين .

يستطيع الوالدان أو أحدهما أن يوضحا لأطفالهما معنى قول الله تعالى ((وحملناهم فى البر والبحر)) من خلال المشاهدات اليومية ، وما يراه الطفل من وسائل مواصلات لو فقد وقود سيارته أو تعطلت به مركبته، أو انفجرت الطائرة فى السماء ... كل هذا يدعو الطفل للتفكير والاستفسار والتعليق ، والتعقل والتدبر ، فيتحرك عقله ، وينظر فى الأمور بعين العقل ولا ينظر إلى الأشياء على أنها عادة فقط ، ولكن وراء كل هذا النظام وهذا التدبير ، وهذا النشاط الكونى البشرى مدبر حكيم ، قادر ، خالق هو الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان وفضله وحمله فى البر والبحر . فما حقه علينا وما واجبنا نحوه ، ولا شك أن من حقه تعالى علينا أن نوحده فلا نشرك معه أحداً ، وأن نعبده حق العبادة ، كما أمرنا وبين لنا رسوله (ﷺ) فى سنته المطهرة ..

يستطيع الوالدان أو أحدهما أن يناقشا مع أطفالهما قول الله تعالى ((وحملناهم فى البر والبحر)) فيتناول قضية البخار ، والمواصلات ، والصناعة ، والهندسة ، والمد والجزر والضغط الجوى ، وما شابه ذلك ، على قدر ما يستوعب الطفل ، وفى كل هذا تربية عقلية للطفل من خلال

والدراسة وحب العلم وحب المدرسة ، والدراســـة ، والمـــذاكرة والتقـــدم العلمى ، واختيار الكلية المرغوب فيها ، واختيار التخصص الذى يريد أو الذى يتفق مع قدراته وإمكاناته ..

يستطيع الوالدان أو أحدهما أن يتناول مع الطفل بالشرح والتحليل المبسط ، قول الله تعالى : ((ورزقناهم من الطيبـــات)) فيتنـــاول معنـــى الرزق وأنه كل منحة وعطية وكل هبة ، يهبها الله للإنســـان مـــن طعـــام وشراب وملبس ومسكن وسيارة .... (وهنا جانب حسى) يدركه الطفـــل كل هذا من فضل الله وعطائه ... ثم يتدرج بالطفل شيئاً شيئاً ، فيتنـــاول موضوع الصحة وهى رزق ، وأن الله خلقنا بهذه الصورة الجميلة ، وأنه منحنا الأجهزة التى تعمل فى الجسم ليل نهار دون توقف وبلا مقابـــل .. وهذا رزق .. ومنحنا الطعام والشراب اللذيذ ، والمسكن الجميل ، والقدرة على الحركة ، والقدرة على التفكير ، والقدرة على الكلام ، وعلى الكتابة ، وعلى الضحك فى حالة السرور والسعادة ، وعلى الألم فى حالات أخـــرى .... وهكذا .

منحنا الله تعالى أنواع الزروع ، والثمار واللحوم والألبان ، وكـــل ما نشتهيه من طعام وشراب .. منحنا الملابس الجميلة .. كل هـــذا مـــن خلق الله ، ومن هبات الله ، وهبها الإنسان ، ولا يســـتطيع غيـــر الله أن يهبها أو يخلقها أليس من الواجب على هذا الإنسان الذى كرمـــه ربـــه ، وحمله فى البر والبحر ورزقه من الطيبات ، وفضله على كثير من خلقـــه تفضلا ... أليس من الواجب أن يعبد الله وحده ولا يشرك بـــه شـــيئاً وأن يوحده فلا يجعل معه أحداً وأن يكون عبداً له سبحانه وتعالى فـــلا يقصـــد غيره .. !!

وهكذا تكون التنشئة الاجتماعية فى الأسرة ، وهكـــذا ينبغـــى أن تكون التربية العقلية بضرب الأمثال المحسوسة للطفل من قبل الوالدين فى الأسرة المسلمة على قدر فهمه وإدراكه ثم ننتهـــى بالأمثـــال والأفكـــار المجردة .

- **الأمثال القرآنية تؤكد القيم الخلقية الإسلامية :-**

تقوم الأخلاق الإسلامية على التقوى ، وتستمد التربية الأخلاقية أهدافها من القيم الخلقية التى حددها الإسلام ، وتتصل هذه القيم بالمسئولية والالتزام ، وتتصل بالإرادة الإنسانية والاختيار والتصميم ، ذلك الاختيار القائم على فهم حقيقى للقيم الخلقية التى يترتب عليها السلوك الإنسانى الخير " . [١]

ولما كانت القيم هى مجموعة من الأحكام يصدرها الإنسان على الأشياء ، وتصدر هذه الأحكام عن خبرات بشرية ، لذا تتصف القيم بأنها إنسانية ، وشخصية ومتعلمة ، وهى نتاج اجتماعى ، ولكل نوع من القيم دوره فى الحياة الإنسانية ، إذ تعد القيم بمثابة محددات للسلوك البشرى ، ومعايير لضبطه .

تؤدى القيم الخلقية دوراً مهماً فى المجتمع إذ تساعد على تماسكه وسعادته وبعده عن الفوضى والشقاء والأنانية والظلم ، وإذا فقدت كافة الأشياء قيمتها بالنسبة لفرد ما ، فقدت الحياة طعمها ". [٢]

ومرجع ذلك أن القيم معايير اجتماعية ، ذات صبغة انفعالية قوية وعامة " تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التى تقدمها الجماعة ، ويتشربها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية ، ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ، ويتخذها هاديا ومرشدا ، ومعنى هذا أن القيم تتصل بالأخلاق وتكتسب عن طريق البيئة ، ويعتبرها الفرد موازين لتقدير أفعاله . [٣]

---

(١) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(٢) دكتور عبد لجواد السيد بكر ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٣) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

ولقد ضرب الله الأمثال القرآنية ليؤكد القيم الخلقية فـــى المجتمـــع المسلم الذى يقوم على أساس من تقوى الله وخشيته فى السر والعلانية ، وفى الضعف والقوة ، والفقر والغنى ، وفى كل حال وعلى أى وضع .

ضرب الله تعالى الأمثال القرآنية ليؤكد قيمة الاستقامة ، من خلال قوله تعالى ((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين)) . [١]

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين ((قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد)) لا كما تعبدونه مـــن الأصـــنام والأنداد والأرباب المتفرقين إنما الله إله واحد ، والواجب عليكم أن تخلصوا العبادة له على منـــوال مـــا أمـــركم بـــه علـــى ألســـنة الرســـل جميعـــاً (عليهم السلام) ، باعتبارهم معلمين وموجهين ودالين على الخير . [٢]

يبين الله تعالى أن طريق الدعوة يحتاج إلى صبر طويل ، وإنـــه لا يدرك ما فى الصبر على هذه الحال من مشقة ، ومن عظمة فـــى احتمـــال هذه المشقة إلا من يكابد طرفا من هذا الموقف فى واقع الحياة ، ثم يمضى فى الطريق ولقد كان التوجيه إلى الصبر كثير الورود للأنبيـــاء والرســـل (عليهم السلام) يا لعظمة الصبر والاحتمال والإيمان والتسليم الكامـــل لله تعالى ، وجهاً وقلباً وإرادة . [٣]

ضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم ليؤكد قيمة حســـن الخلـــق ، وذلك من خلال قوله تعالى : " ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بـــالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . [٤]

---

(١) قرآن كريم : سورة فصلت ، الآية ٦ .

(٢) الحافظ ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ٩٩ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٣١٠٩ .

(٤) قرآن كريم : سورة فصلت الآية ٣٤ .

إن فرقا كبيرا بين الحسنة والسيئة ، وإن مَن واجبك على من أساء إليك أن تدفعه بالإحسان إليه ، كما قال عمر - رضى الله عنه : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه " وأنك إذا حسنت إلى من ساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولى حميم أى قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك . (١)

من البدهى أن رقى المجتمعات الإنسانية لا يقاس بما حققت من منجزات العلم والتقدم العلمى ، وما اكتشفت فى عالم المادة من مخترعات واكتشافات فحسب ، وإنما يقاس بهذا وبشئ أهم منه وهو سيادة القيم الخلقية الإسلامية فيها من عدل ومساواة وحب وتعاطف وإيثار وتضحية واستقامة ونظافة فى التصور والسلوك والمعاملة . (٢)

ولقد ضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم ليؤكد قيمة العدل وتجنب الظلم ، وذلك من خلال قوله تعالى : ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)). (٣)

ويقول الله تعالى : " وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ". (٤)

إن الله عدل ويرضى لعباده العدل ، ولا يرضى لهم الظلم ، وسواء ظلم الإنسان للإنسان ، أو ظلم الإنسان لنفسه ، وأشد أنواع الظلم أن يظلم الإنسان نفسه بأن يتخذ إلهه هواه أو يشرك بالله شيئاً " إن الشرك لظلم عظيم " (٥)

---

(١) الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ١٠٩ .

(٢) الدكتور محمد على الهاشمى : ومضات الخاطر ، بيروت ، لبنان ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ١٣١ .

(٣) قرآن كريم : سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٤) قرآن كريم : سورة النحل ، الآية ٧٦ .

(٥) قرآن كريم : سورة لقمان ، جزء من الآية ١٣ .

ولقد ضرب لله المثل ليربى الإنسان المسلم على العدل ، وألا يظلم نفسه بأن يشرك بالله تعالى ، وأن يسوى بينه وبين العباد .. فيضرب المثل بالعبد المملوك ، الضعيف الذى لا يقدر على شئ ، وبالعبد الذى رزقه الله رزقا حسنا ، فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهـار فهـل يسـتويان مثلا .[1]

وضرب الله مثلا برجلين ، الأول أبكم ، لا يقدر على شئ وهو كل وعالة على سيده ولا يأت بخير ، فهل يستوى هذا الأبكم ، بهذه الصفات التى يتصف بها ، بمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟ بالطبع لا .. فكيف يسوى الكافرون بين سيد العباد وهو ملكهم المتصرف فى أقدارهم ، وبين أحد من خلقه هل هذا يعد عدلاً : إن هذا لظلم عظيم . يظلمون به أنفسهم باتخاذهم آلهة دون الله وهو خالقهم وكل ما عداه مخلوق له ، ولا يقدر على ضر فيضرهم أو نفع فينفعهم .

ضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم ليؤكد قيمة التواضـع وعـدم التكبر ، يظهر لنا ذلك من خلال قوله تعالى : ((ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)).[2]

يحكى الله تعالى عن لقمان الحكيم بعض الوصايا التربوية لابنه وهو يعظه ، والهدف من سردها أن ينتفع الناس بها ويقتدوا بها ويتربوا عليها ، فبعد أن يخبره أن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل ، فإن الله تعالى يعلمها ويأت بها لأنه القادر ، وهو سبحانه يضع الموازين القسط يوم القيامة ليجازى عليها بالخير أو بالشر .

---

(١) أنظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٣١٨٣ .

(٢) قرآن كريم : سورة لقمان ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

يستمر لقمان الحكيم فى موعظته لابنه بأن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وينصحه بالصبر على ما أصابه من ابتلاء ، فيقـول لـه ((ولا تصعر خدك للناس)) أى لا تعرض بوجهك عنهم احتقارا واستكبارا وليكن جانبك لينا لهم ، وابسط وجهك إليهم ، ولا تمـش فـى الأرض مستكبرا معجبا بنفسك، فإن هذه الصفات لا يرض عنها الله . [١]

وأخيرا يعظ لقمان الحكيم ولده بقوله له : ((واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)) ، [٢] أى لا تبالغ فى الكلام ولا ترفـع صوتك فيما لا فائدة فيه ، فإن أقبح الصوت صوت الحمير ، ومـن هـذا نستنتج قيمة التواضع التى ينشئ الوالد عليها ولده ، وكيف تكون ، ومـا جزاؤها عند الله ، وما فائدتها عند الناس .

ويضرب الله المثل بارتفاع الصوت وعلوه فيما لا نفع فيه ولا فائدة ترجى بصوت الحمير ، وهو أعلى الأصوات لينفر منه وبلتالى فإن صـوت الحمير يقتضى لمن يسمعه أن يتعوذ بالله من الشيطان ، فقد جاء عن أبى هريرة (ﷺ) أن النبى (ﷺ) قال : ((إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير ، فتعوذوا بالله من الشـيطان فإنهـا رأت شيطانا)) . [٣]

ضرب الله الأمثال القرآنية ليؤكد قيمة الحق ، وشهادة الحق ، واجتناب شهادة الزور ، وعدم الإشراك بالله تعالى ، وذلك لما لهذه القيم من تأثير حسن وخيرٍعلى الفرد والمجتمع ، على حد سواء .

---

(١) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٤٥٥ .
(٢) قرآن كريم : سورة لقمان ، جزء من الآية ١٩ .
(٣) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٤٥٥ .

قال تعالى :((فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)) [١]

إن النص القرآنى يغلظ من جريمة قول الزور حتى أنه يقرنها بالشرك بالله فقد روى الإمام أحمد ، قال : رسول الله (ﷺ) الصبح ، فلما انصرف قام قائما فقال :((عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل)) ثم تلا هذه الآية ((فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور)) . [٢]

إن الله تعالى يريد من الناس أن يميلوا عن الشرك كله ، وأن يجتنبوا الزور كله ، وأن يستقيموا على التوحيد الصادق الخالص .. [٣] لأن التوحيد منهج حياتهم السوية السليمة ، وهو منهج الاستقامة على طريق الصلاح والخير ، وإن من يشرك أو تزل قدماه عن أفق التوحيد الخالص فإنه سيهوى إلى درك الشرك فإذا هو ضائع ذاهب بدداً كأن لم يكن قبل ، وإن من يشرك بالله ((فكأنما خر من السماء)) وفى لمح البصر سيتمزق ((فتخطفه الطير)) أو تقذف به الريح بعيدا عن الأنظار .

وهكذا يصدر المثل القرآنى من يشرك بالله تعالى ، وهو يهوى من أفق الإيمان المرتفع العالى ، إلى حيث الانطواء والفناء ، تخطفه الطير ، تتقاذفه الأوهام تقاذف الريح ، ولا يستقر على القاعدة الثابتة التى تربطه بهذا الوجود الذى يعيش فيه وهل بعد ذلك من ضياع . [٤]

---

(١) قرآن كريم : سورة الحج ، الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٢) قرآن كريم : سورة الحج ، جزء من الآية ٣٠ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٤٢١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ص ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢ .

إن الاستقامة على التوحيد الخالص هى سبب النجاة فى الدنيا والآخرة ، وهى سبب الأمن والأمان ، الذى ينشده المسلم ، وإن من أشرك حبط عمله ، وفقد قاعدة الأمان ، وهى قاعدة التوحيد ، وحينئذ تتقاذفه الأوهام والأهواء ، ولا يستقر على قرار ، ويكون شأنه شأن من تخطفه الطيور الجوارح ، أو تهوى به الريح فى مكان بعيد ، لا قرار له ، نظراً لشدة عمقه وشدة ظلمته فى وقت واحد .

يضرب الله المثل القرآنى ليؤكد قيمة اجتناب الظن ، وعدم التجسس والبعد عن الغيبة . يظهر ذلك من خلال قولة تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)) . [١]

لقد اشتملت هذه الآية القرآنية الكريمة على كثير من المبادئ التربوية الإسلامية التى تمثلت فى التشريع الإسلامى لقيام مجتمع يصدر عن الله ويتجه إليه ، إنه عالم نقى المشاعر ، نظيف الأحاسيس ، عف اللسان ، نقى السريرة ، له أدبه مع الله تعالي ، وأدبه مع رسول الله (ﷺ) وأدبه مع نفسه ، وأدبه مع الآخرين من بنى جنسه أو من بنى دينه، مجتمع إسلامى له آدابه ومشاعره وحرماته المصونة .

هذا المجتمع الذى يبنيه الإسلام هو مجتمع ((نظيف المشاعر ، مكفول الحرمات ، مصون الغيبة والحضرة ، لا يؤخذ فيه أحد بظنه ، ولا تتبع فيه العورات ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم وحريتهم فيه لأدنى مساس))[٢] إنه المجتمع المثالى ، المجتمع الذى تربى التربية الإسلامية الصافية ، إنه مجتمع الفضيلة ، إنه المجتمع القائم على التقوى .

(١) قرآن كريم : سورة الحجرات ، الآية ١٢ .
(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٣٣٦ .

إن المجتمع الإسلامى هو مجتمع القيم الخلقية النبيلة التى رسخها الإسلام ودعم أركانها ودعى إليها وربى أفراده عليها ، تربيــة إســلامية صحيحة ، ((صيانة للمجتمع المؤمن من الخصام ، والتفكك تحت النــزوات والاندفاعات ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة قبل التثبــت والاستيقان)) .(١)

تعد القيم الإسلامية التى اشتملت عليها هذه الآية الكريمة ، قاعدة من قواعد الأخلاق المحكمة التى تستهدف صيانة المجتمع المسلم من التفرق والتمزق ، ومن ثم تستهدف إقرار الحق والعدل والصلاح والتقوى .

يأتى المثل القرآنى فى هذه الآية القرآنية الكريمة ليمثل الغيبة فى أبشع صورة وأشنع حال ، ويوضح أثرها على الفرد والمجتمع ، فقد شبه تمزيق عرض الأخ المسلم لأخيه بتمزيق لحمه ((ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه فى غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه فى حال غيبــة روحــه عنه بالموت ، ولما كان المغتاب عاجزا عن دفع هذا التمزيق عــن نفســه لكونه غائبا عن ذمه ، كان فى هذه الحالة بمنزلة الميت الذى يقطع لحمــه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه)) .(٢)

إن الأخوة الحقة فى الله تقتضى من الأخ التراحم والتواصل والتناصر لأخيه ، وحفظه وصونه والدفاع عنه ، وليس العكس ، كما جاء المثل القرآنى الذى شبه المغتاب بآكل لحم أخيه ميتا ، وذلك لذمه إياه أو عيبه أو الظن به أو الطعن فيه .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٤٣ .

(٢) ابن قيم الجوزية : ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

وهكذا نجد أن المثل المعقول طابق فيه المحسوس ، للتأثير في النفس والتنفير من الشئ المكروه ، وهو أكل لحم الأخ لأخيه ميتا فى حالة ذكره أخاه بما يكره من الصفات .

وتأتى الأمثال القرآنية لتؤكد على قيمة من القيم الخلقية التى تهدف إلى سلامة وأمن المجتمع المسلم والحفاظ على تماسكه ، وهذه القيمة هى قيمة الوفاء بالعهود ، وعدم الخلف ، إذ يعد الوفاء بالوعود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة أو المصداقية فى التعامل والأخذ والعطاء والبيع والشراء ، والتعليم والتعلم بين الناس بعضهم البعض ، وبدون هذه الثقة ، وتلك المصداقية لا تقوم للمجتمع الإنسانى قائمة ، بل ولا تكون هناك إنسانية . [1]

وتظهر هذه القيمة الخلقية من خلال قول الله تعالى :((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)) .[2]

لقد تشدد الإسلام الحنيف فى مسألة الوفاء بالعهود ، فلم يتسامح فيها أبداً وذلك لأنها قاعدة الثقة التى بدونها ينفرط عقد الجماعة الإسلامية وينهدم بنيانها . وكذلك يقبح الإسلام نكث العهد ويذم ناكثى العهود ، وقد نفى الأسباب التى قد يتخذها بعض الناس مبررات لنكثهم [3] فقال تعالى : ((ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمه هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه يختلفون)) . [4]

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٩١ .
(٢) قرآن كريم : سورة النحل ، الآية ٩١ .
(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٩١ .
(٤) قرآن كريم : سورة النحل ، الآية ٩٢ .

لقد مثل الله تعالى نقض العهد بامرأة حمقاء ملتاثه ضعيفة العـزم والرأى ، تفتل غزلها ، ثم تنقضه وتتركه مـرة أخـرى قطعـا منكوثـة ومحلولة ، وكل جزئية من جزئيات التشـبيه تشـى بـالتحقير والترذيـل والتعجيب ، وتشوه الأمر فى النفوس وتقبحه فى القلـوب .. ولا يرضـى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة ضعيفة الإرادة ملتاثـة العقل التى تقضى حياتها فيما لا نفع فيه . (١)

وهكذا يضرب الله الأمثال القرآنية ، لتأكيد القيم الخلقية فى المجتمع المسلم ، الذى يتطلب من أفراده – كل أفراده – الوفاء بالعهود والمواثيق التى أكدوها بأيمانهم مع غيرهم – أيا كان هذا الغير ، وهذا التشديد على الوفاء بالعهود ، وعدم التفريط فيه راجع لأهمية هذا الأمر على مستوى الأفراد والجماعات والأمم .

• تعقيب

تلعب الأسرة الدور الأكبر فى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل ، إذ عن طريقها يتعلم الأطفال التفاعل الاجتماعى والأدوار الاجتماعية ، وفـى ذات الوقت يتمثلون ويكتسبون معايير أخلاقية تقرها الأسـرة ، ويقرهـا المجتمع .

ولا تقتصر عملية التنشئة الاجتماعية على مرحلة ما قبل المدرسة فى حياة الأطفال ، بل تمتد إلى المراحل العمرية اللاحقة ، ومن هنا يمكن للطفل أن يتشرب القيم التربوية الأخلاقية التى تكون عليها أسرته (الوالد والوالدة ...) وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٩١ .

ولا تقتصر عملية التنشئة الاجتماعية على الوالدين فقط ، بل هـى عملية مهمة للوالدين والمدرسين وغيرهم ، [1] والطفل فى حالة تشـربه للقيم الأخلاقية التى تكون عليها أسرته ، يمكنـه اسـتيعاب الأدوار التـى يمارسها الكبار ، بمعنى أن يكتسب الفهم الواضـح لـلأدوار ، وأبعادهـا وطبيعتها ، ثم يمكنه أن يتعلم مواصفات الأدوار وما تستلزمه من عواطف وأحاسيس إنسانية .

إن غرس القيم الخلقية فى نفوس الصغار هى وظيفة من وظـائف الوالدين فى الأسرة ، ويستلزم ذلك أن يكون الولدان قدوة طيبـة وأسـوة حسنة للطفل ، حتى يستطيع أن يتشبه بهما ، ويتم له الأخذ عنهما القـيم الخلقية الإسلامية الصحيحة ، من خلال تعاملهما وتعاونهما فـى الأسـرة واحتكاكاتهما بالمجتمع المحيط .

إذا أراد الوالدان أن يغرسا فى نفوس الأطفال القيم الخلقية وما يتعلق بهذه القيم من مضامين أخرى ، كان لزاماً عليهما أن يتحلى كل منهما بالخلق الحسن والصفات الكريمة ، حتى ينتج عنها سلوكا صحيحا يقتفى الطفل أثره ، ويحاول أن يطبقه بنفسه ، حتى يصبح له عادة وديدنا.

على الوالدين أن يعيا أن عملية التنشئة الاجتماعية مع كونها عملية إنسانية فهى عملية اجتماعية ، وفى نفس الوقت عملية متدرجة تصلح بالمحاولة ، فيها الصواب وفيها الخطأ ، وعلى الوالدين أن يبدأ أكل منهما بنفسه قبل أن يكلف الطفل ما لا يطيق ... أخذا بالقول القائل :

((إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع)) وقول القائل :

((وينشأ ناشئ الفتيان فينا * على ما كان عوده أبوه))

---

(١) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية ، الطبقة التاسعة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧م ، ص ١١٤ .

يمكن للوالدين أن يعملا على إكساب الطفل بعض المفاهيم الأساسية عن نفسه وأسرته ومجتمعه وبيئته ، على أن تكون لهذه المفاهيم وظيفتها التربوية فى حياته العملية إذ عن طريق هذا الفهم يمكن أن يتعرف على بعض القيم الخلقية المرتبطة بنفسه وبالآخرين بالمجتمع وبالبيئة المحيطة به ثم ينطلق بعد ذلك إلى عالمه العربى،ومن بعده العالم النسانى كله .

كما يمكن للولدين أن يعملا على إكساب الطفل بعض القيم الخلقية التى تظهر آثارها من خلال تعاملهما معه ، وتعاملهما مع الآخرين ، وأن يضربا له الأمثال لذلك ، ومع ضرورة مراعاة ظروف الطفل . وخير مثال لذلك وصايا لقمان الحكيم وهو يعظ ولده .. يمكن للوالدين أن يناقشا هذه الوصايا مع أطفالهما على قدر استيعابهم ، بهدف استخراج القيم الخلقية التى يستفيد منها الطفل فى حياته العملية .

على الولدين أن يستثمرا المواقف التربوية الحياتية ويوضحا للطفل المغزى والعبرة منها بحيث يمكن الاستفادة منها تربويا ، ويعلقا على محتوياتها التربوية ، والقيم التربوية الخلقية المتضمنة فيها الأمر الذى يمكن أن يكتسب الأطفال هذه المضامين ويسلكوا سلوكاً تربوياً فى هديها .

يمكن للوالدين أن يمدحا بعض الأفراد أصحاب المواقف النبيلة أمام طفلهما ويوضحا له لماذا يمتدحونه وما أسباب ذلك ، ويلعب التفاهم بين الزوجين دورا مهما فى غرس القيم الخلقية فى نفوس الأطفال .

لا تقتصر أدوار الوالدين على تقديم الحاجات المادية ، المأكل والمشرب والملبس والهدايا للطفل فقط ، كما لا يقتصر دور الأم على الإنجاب ومتطلباته فقط ، ولكنه الدور الأهم هو التعاون فيما بينهما من أجل إشباع حاجات الطفل الضرورية (المادية والمعنوية)– قدر الإمكان – والتعرف على ميوله ، والحرص على توجيهه وإرشاده التوجيه والإرشاد المقنع ، القائم على أساس من القيم الخلقية الإسلامية .

- **الأمثال القرآنية تحدد ملامح الطبائع البشرية :-**

لقد اختص الله سبحانه وتعالى بخلق الإنسان وتكوينه تكوينا يتلاءم مع تكريمه وأدواره فى الوجود ، فبدأ الله تعالى يخلق الإنسان من الطين ، ثم نفخ فيه من روحه تعالى، وشق أوعية حواسه وركز الأفئدة ، ثم توالد الإنسان من سلالة الطين ، ثم تواردت على تلك السلالات أطوار الخلقة [١]

خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح ، وقد مر التراب بعدة مراحل من التكوين من تراب إلى طين إلى حمأ مسنون إلى صلصال كالفخار ، ثم نفخ الله تعالى فيه من روحه ، فخلق آدم (عليه السلام)، هذه النفخة العلوية السماوية من روح الله تعالى، ليكون الإنسان أهلاً للخلافة فى الأرض ، وأجدر بمولاة الحق والتشوق إلى المثل العليا وصولاً إلى الكمال البشرى . [٢]

رفع الله الإنسان عن مستوى خلقه جميعا حتى الملائكة ، وكان ذلك الرفع بمقتضى السر الإلهى ، وآثار النفخة العلوية ، التى ميزته بالقابلية للرقى العقلى والروحى وكانت سر تكريمه .. ولقد حبا الله تعالى آدم وحواء النعيم والمكث فى الجنة إلى أن تم إغراء الشيطان لهما بالخطيئة ، ثم تاب آدم (عليه السلام) ، وتم هبوطه إلى الأرض ، حيث زاولا الأدور التى رسمها الله تعالى للبشر . وكان هذا إيزاناً بانطلاق المعركة فى مجالها المقدور لها ، بين الشيطان والإنسان .. إلى آخر الزمان .[٣]

---

(١) دكتور محمد عادل الهاشمى : الإنسان فى الأدب الإسلامى ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ، ص ٢٠٥ .

(٢) أنظر : سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٣٠٢٧ .

(٣) المرجع السابق : المجلد الأول ، ص ٥٨ .

يقسم القرآن الكريم الطبيعة الإنسانية إلى قسمين : جسم وروح ، أو مادة ولا مادة ، والروح تشمل العقل أى أن أجزاء الطبيعة الإنسـانية : جسم وعقل وقلب . لكن هذا التقسيم لا يعنـى أن كـل أجـزاء الطبيعـة الإنسانية مستقل بذاته ومنفصل عنه ، بل إنها متكاملة متعاونة فيما بينها من أجل هدف واحد هو توحيد الألوهية ، والعمل بمقتضى هذا التوحيـد ، ووفق منهج افعل ولا تفعل . [١]

الإنسان مكون من جسم (وهو الجانـب المـادى) ، وروح وهـو (الجانب المعنوى) ، غير المادى للإنسان ، ولا يستغنى الجسم عن الروح، كما لا تستغنى الروح عن الجسم ، والقلب والعقل هما مظهران للـروح ، والعقل فى حاجة إلى المعرفة والعلم ، ومن ثم فهو فى حاجة إلى الحواس الخمس كمصادر للمعرفة الإنسانية ، وهذه الحواس أعضاء فـى البـدن ، البدن بحواسه الخمس يعد نوافذ للمعرفة الإنسانية ، التى يستخدمها العقل فى رؤية العالم والأشياء من حول الإنسان .

إن القلب وثيق الصلة بالعقل وكأنهما شئ واحد ، واللب هو القلب، وقد يستخدم ليعنى معنى من معانى العقل ، وصلة العقل بالقلب تبدو مـن خلال معنى أن القلب هو موطن المشاعر والعواطف الإنسانية ، والتى تمثل قوة مؤثرة فى سلوك الإنسان ، بل إنها تسيطر على سلوك الإنسان كله فى أحيان أخرى . ومن هنا كانت هذه القوة بحاجة إلى ضـابط يضـبطهما ، ومعيار يحكمها ، وفكر يوجهها ، وهذا ما يقوم به العقل باعتباره السلطة الداخلية أو الضمير الذى يحقق التوازن بين الداخل والخارج . [٢]

---

(١) أنظر : دكتور محروس سيد مرسى : التربية والطبيعة الإنسانية فى الفكر الإسلامى ، وبعض الفلسفات الغربية ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٨م ، ص ٢٧٧ .
(٢) المرجع السابق . ص ٢٧٨ .

لا توجد الروح منفصلة عن الجسم ، ولا يوجد الجسم منفصلا عن الروح ، وإنما هما ممتزجتان معاً فى وحدة متكاملة متناسقة ، وتتكون من هذا المزيج المتكامل وهذا التناسق الفريد ما يسمى بالذات الإنسانية ، أو الشخصية الإنسانية ، ولا يمكن فهم شخصية الإنسان أو ذاته ، فهما صحيحا ودقيقا إلا بالنظر إلى الكيان الإنسانى (جسمه وروحه) بأكمله ، المكون من امتزاج عنصرى المادة والروح معاً .[1]

وقد يحدث فى شخصية الإنسان صراع ، فتجذبه أحيانا حاجاته وشهواته البدنية ، وتجذبه أحيانا أخرى حاجاته وأشواقه الروحية ، ومرد هذا الصراع الناتج فى شخصية الإنسان إلى وجود الصفات الحيوانية المتمثلة فى الحاجات البدنية لدى الإنسان ، والتى يجب إشباعها من أجل الحفاظ على الذات الإنسانية وبقاء هذا النوع ، كما تتضمن شخصية الإنسان صفات ملائكية متمثلة فى تشوقه الروحى إلى معرفة خالقه سبحانه وتعالى والإيمان به وإفراده بالعبودية وحده . [2]

ولقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون أسلوب الإنسان فى حل هذا صراع القائم فى النفس البشرية بين الخير والشر، أو بين مطالب الروح وأشواقها ، وبين مطالب وحاجت الجسم ومادياته وشهواته هو الاختبار الحقيقى الذى وضعه الله تعالى للإنسان فى هذا الوجود أو فى هذه الحياة الدنيا والتى هى بمثابة دار الابتلاء والاختبار، ولذلك فإن التربية الإسلامية تستهدف أن يتحقق للشخصية الإنسانية أكبر قدر من التوازن والتناسق والترابط بين الخير والشر ، وذلك كى يحيا الإنسان فى دنياه سعيداً ، ويحظى فىالآخرة بالنعيم المقيم .

---

(١) دكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم لنفس ، الطبقة الرابعة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ ، ص ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢١٠ .

متناسقة ، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته " . [١]

الإنسان من المنظور الإسلامى كائن ، لا هو بالحيوان ولا هو بالملاك ، لكنه قابل أن يهبط أو أن يصعد بحسب التربية والتنشئة ، إنه ذو طبيعة مزدوجة ، مكون من " جسم وعقل وروح ، وكل أولئك معترف بوجوده مقدر مطالبه ، وكلهما حقيقة بالاستجابة إليهما استجابة صريحة مباشرة لا مواربة فيها ولا إنكار " . [٢] وقد يحدث بين الجانبين فى شخصية الإنسان صراع تجذبه أحياناً حاجاته وشهواته البدنية وأحيانا أخرى حاجاته أشواقه الروحية وتقوم القاعدة النفسية فى التربية الإسلامية على عدة مبادئ وأساسيات هى :-

١- أن الإنسان مفطور على الإيمان بالألوهية والوحدانية .

٢- أن الطبيعة الإنسانية طبيعة مزدوجة .

٣- أن الإنسان خلق باستعدادات متساوية للخير والشر .

٤- أن الإنسان خلق بقدرة واعية كامنة قادرة على الاختيار الحر .

٥- أن تبعة الإنسان ومسئولياته تقع عليه وحده .

٦- أن حاجات الإنسان مزدوجة بازدواج طبيعته . [٣]

وتتجلى هذه القاعدة النظرية النفسية للإسلام مرتبطة محكمة من خلال بعض الآيات القرآنية الكريمة ، التى تشير إلى الازدواجية فى طبيعة النفس البشرية ، كما فى قوله تعالى فى سورة الإنسان : ((هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا * إنا خلقناه من نطفة أمشاج

---

(١) دكتور محمد عثمان نجاتى : مرجع سبق ، ص ٢١٠ .

(٢) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٧٠ .

(٣) دكتور على أحمد مدكور : مرجع سابق ، ص ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا* إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا)).[1]

وفى قوله تعالى فى سورة البلد : ((ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين)) . [2]

وفى قوله تعالى فى سورة الشمس : ((ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد فلح من زكاها * وقد خاب من دساها . [3]

وفى قوله تعالى فى سورة " ص " : ((إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين)) . [4]

ولما كان الإنسان مخلوقاً مزدوج الطبيعة ، فهو مزدوج الاستعدادات زود باستعدادات متساوية للخير والشر على حد سواء ، وتعد البيئة التربوية هى المسئولة عن إظهار أى من الاستعدادين على الآخر ، لقول رسول الله (ﷺ) : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء)) [5]

وإلى جانب الاستعدادات الخيرة الشريرة عند الإنسان باعتبارها فطرية توجد لديه " قوة واعية مدركة موجهة فى ذات الإنسان هى التى تناط بها التبعة والمسئولية ، فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه

---

(١) قرآن كريم : سورة الإنسان : الآيات ١ : ٣ .
(٢) قرآن كريم : سورة البلد : الآيات ٨ : ١٠ .
(٣) قرآن كريم : سورة الشمس : الآيات ٧ : ١٠ .
(٤) قرآن كريم : سورة ص : الآيتان ٧١ ، ٧٢ .
(٥) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، مرجع سابق ، الحديث رقم ١٨٥٢ ، ص ٤٨٤ .

وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيه ، وتغليبه على استعداد الشر فقد فلح ، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب " . [1] قال تعالى : ((قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)) . [2]

إن القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه هى قوة الإرادة التى توجه الاستعدادات الفطرية فى الإنسان ، القابلة للنمو والزيادة فى حقل الخير والشر على حد سواء ، هذه الإرادة " هى الفارق الحاسم بين الإنسان والحيوان ، وهى مناط المسئولية ومحور الارتكاز فى النظام الإسلامى كله " . [3]

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة عميقة واسعة شاملة ، عادلة فيوازن بين جوانبه وأبعاده المختلفة ، ويضع كلاً منها فى موضعه الصحيح " ويقيم الإرادة مشرفة على تنظيم الشهوة ، متحكمة فى انطلاقها دون أن يكلفها وقف الجهاز الإنسانى عن العمل أو كبته حتى تنفجر شحنته الخطيرة " . [4]

وللإرادة الإنسانية حرية ، يقابلها فى الجانب الآخر تبعة ومسئولية وهى قدرة يقابلها تكليف وأعباء ، وهى منحة يقابلها واجب . وحين يقيم الإسلام هذه " الإرادة ويكل إليها هذا التنظيم يجعلها مناط " المسئولية " الجنائية والخلقية ، لا فى الحياة الدنيا فحسب ، بل فى الآخرة كذلك " . [5]

مع هذه الإرادة الضابطة ينشأ الضمير الإنسانى ، لكنه " ليس ضميراً نفعياً ، كالذات العليا التى رسمها " فرويد " ... وليس صادراً عن

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن – المجلد السادس – ص ص ٣٩١٧ ، ٣٩١٨ .
(٢) قرآن كريم : سورة الشمس : الآيتان ٩ ، ١٠ .
(٣) محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٩٦ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

الكراهية الطاغية التى تجتاح النفس البشرية تجاه كل شخص آخر ، حتى من تحبهم وتقربهم .. وإنما هو ضمير خلقى واع ، متفاهم مع النفس ، ويحاول تذكيرها دائماً بأهداف الحياة العليا ".[١]

لقد اهتم القرآن الكريم بتربية الضمير الإنسانى ، منذ طفولة الإنسان مروراً بكل مراحل حياته ، وحلقاته ، فإنه من رحمة الله تعالى بهذا الإنسان أنه لم يدعه نهباً لاستعداداته الفطرية ، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف والمتحكمة فيه ، وإنما أعانه الله تعالى " بالرسالات التى تضع له الموازين الثابتة ، الدقيقة وتكشف له عن موجبات الإيمان ، ودلائل الهدى فى نفسه ، وفى الآفاق من حوله وتجلو عنه غواشى الهوى ، فيبصر الحق فى صورته الصحيحة " .[٢]

وهب الله تعالى الإنسان العقل ليميز بين طريق الخير وطريق الشر أو بين الحق الباطل ، أو الهداية والغواية ، كما أمر الله تعالى الإنسان الإرادة والقدرة على الاختيار ، كى يختار الطريق الذى يفضله ، وذلك لحل الصراع المحتدم فى النفس الإنسانية .

هذا الاختيار الذى تتجه إليه إرادة الإنسان ، فإذا إنساق وراء ملذاته وحاجاته المادية وشهواته ، واختارها فقد اختار طريق الشر ، والإنسان فى هذه الحالة يكون غير ناضج الشخصية ، ويكون أشبه بالطفل الذى لا يهمه إلا إشباع حاجاته ورغباته ولم يتعلم بعد كيف يُتَحكم فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٩١٨ .

أهوائه وشهواته وكيف يضبطها ويخضعها ويربيها التربية السوية ، وهنا يصبح خاضعا لتوجيه النفس الأمارة بالسوء . (١)

وحين يبلغ الإنسان مرتبة أعلى من الكمال الإنسانى يبدأ ضميره فى الاستيقاظ فيستنكر ضعف إرادته ، وانقياده لأهوائه وشهواته فيشعر بالذنب ويلوم نفسه على التفريط ويتجه إلى الله تعالى وتصبح تحت تأثير " النفس اللوامة " .وإذا أخلص فى تقربه إلى الله تعالى بالعقيدة الصحيحة والأعمال الصالحة وتحكم فى أهوائه وملذاته وصل إلى مرتبة الكمال الإنسانى ، وهى المرتبة التى تكون فيها النفس الإنسانية فى حالة اطمئنان وسكينة وينطبق عليها وصف " النفس المطمئنة " (٢)

وتكشف الأمثال القرآنية عن ثلاثة أنواع من الطبائع البشرية :-

(١) الطبيعة البشرية الخيرة ، النقية ، وهى طبيعة الأنبياء عليهم السلام، وخاتمهم محمد (ﷺ) وصحابته (رضوان الله عليهم أجمعين) ومن سار على نهجه ومنواله .

(٢) الطبيعة البشرية المتلونة ، التى تظهر عكس ما تبطن وهى طبيعة المنافقين .

(٣) الطبيعة البشرية ، التى تظهر العداء والشر ، وهى طبيعة الكفار ، الذين هاجموا الدعوة الإسلامية وحاربوها .

ويمكن أن نتناول كل طبيعة من هذه الطبائع على حدة :-

---

(١) دكتور محمد عثمان نجاتى : مرجع سابق ، ٢١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

١- الطبيعة البشرية الخيرة " طبيعة المؤمنين "

أرسل الله تعالى رسله إلى أقوامهم ، معلمين ومرشدين ، ومربين ، ودالين على الخير ، وإلى طريق النور والهدى والصراط المستقيم .

أرسل الله الرسل إلى أقوامهم بلسانهم ليبينوا لهم طريق الحق، وليطاعوا بإذن الله ، قال تعالى : ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)) . (١)

وقال تعالى : ((وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)) . (٢)

وقال تعالى : ((ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)). (٣)

قال تعالى:((ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات)). (٤)

وكان خاتمهم محمد (ﷺ) الأسوة والمثل البشرى الكامل وهو المعلم والهادى إلى صراط الله القويم ، من صفاته وطبيعته أنه بشر من جنس قومه ، رءوف رحيم بهم قال تعالـــى : ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)) . (٥)

وقال تعالى : ((لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)) . (٦)

---

(١) قرآن كريم : سورة إبراهيم : جزء من الآية ٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة النساء : جزء من الآية ٦٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة النحل : جزء من الآية ٣٦ .

(٤) قرآن كريم : سورة الروم : جزء من الآية ٤٧ .

(٥) قرآن كريم : سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

(٦) قرآن كريم : سورة آل عمران : جزء من الآية ١٦٤ .

وقال تعالى : ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)) . [١]

وقال تعالى : ((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)) . [٢]

وقال تعالى : ((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)) . [٣]

وقال تعالى : ((هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)).[٤]

هكذا ضرب الله تعالى المثل برسوله محمد (ﷺ) وذكر صفاته وسجاياه ، وشمائله وفضائله ، وهو القدوة والأسوة والنموذج البشرى الكامل ، كما ضرب الله المثل بصحابته (رضى الله عنهم) الذين تأسوا به وساروا على منواله ومنهجه .

وقد بين المثل القرآنى الطبيعة البشرية لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ) ولصحابته (رضى الله عنهم أجمعين) وأن هذه الطبيعة فيها الرحمة وفيها الشدة ولكن بحسب الموقف وما يمليه.

بين المثل القرآنى كيف كان محمد (ﷺ) وأصحابه الكرام ، مع المؤمنين وأيضاً مع الكفار والمشركين ، وكيف كانت أوصافهم وكيف كانت همتهم وهاماتهم ، وأقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم وإراداتهم ، وما هى أهدافهم العليا التى كانوا يسعون نحوها ويتفانون من أجل تحقيقها .

---

(١) قرآن كريم : سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .
(٢) قرآن كريم : سورة الفتح ، جزء من الآية ٢٨ .
(٣) قرآن كريم : سورة التوبة ، الآية ٣٣ ، الصف : الآية ٩ .
(٤) قرآن كريم : سورة الجمعة ، الآية ٢ .

إن صورة الشخصية المسلمة كما ترسمه فى أذهاننا مجموعة من الصفات والسمات التى وردت فى القرآن الكريم فى وصف المؤمنين إنما ترسم لنا نموذجاً يجب أن نعمل على تحقيقه واقعيا فى حياتنا ، وبالتالى يجب علينا أن نعمل على تنشئة أطفالنا عليها حتى تصبح سمات رئيسية عميقة الجذور فى شخصياتهم ، وبهذه الطريقة وهذه التربية الحقة وحدها يمكن تكوين المجتمع الإسلامى الصحيح . (١)

وتصور لنا الأمثال القرآنية الصورة الحية المجسمة التى كان عليها رسول الله محمد (ﷺ) ، والذين معه – رضوان الله عليهم – فى حالة لقائهم بعدوهم ، وفى حالة تراحمهم وتعاطفهم فيما بينهم وفى حالة عبادتهم ... وهذه السمات جميعها يمكن أن يتخذها المربون مثالاً يحتذى ، ليربوا أولادهم عليها ، وبذلك يكون المجتمع المسلم ، وتكون صفات أفراده قال تعالى : ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)) . (٢)

يبين المثل القرآنى صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المحمدية ، فى حالاتها الظاهرة والباطنة ، فصور حالاتهم مع عددهم ((أشداء على الكفار)) وصور حالاتهم مع المؤمنين ((رحماء بينهم)) وصور هيئتهم فى عبادتهم ((تراهم ركعاً سجداً))

---

(١) دكتور محمد عثمان نجاتى ، مرجع سابق ، ٢٢٤ .
(٢) قرآن كريم : سورة الفتح : جزء من الآية ٢٩ .

وصور هيئتهم فى عبادتهم ((تراهم ركعاً سجداً)) وصور ما يجيش فى نفوسهم وما يطمحون إليه من أهداف عليا ، ((يبتغون فضلاً من الله ورضوانا)) . وصور أثراً من آثار السلوك السوى والتوجه إلى الله والذى انعكس على وجوههم وسماتهم ((سيماهم فى وجوههم)) وصور سبب هذا السمت والوقار والنور فى الوجه ((من أثر السجود)) وضرب لهم المثل بأن هذه الطبيعة البشرية للجماعة المحمدية جاء ذكرها فى التوراة ((ذلك مثلهم فى التوراة)) وكذلك جاء ذكرها فى الإنجيل ((ومثلهم فى الإنجيل)) ...

وإذا كان للجماعة المحمدية صفات عديدة ، وحالات شتى لكن اللقطات التى ركز عليها المثل القرآنى ((تتناول الحالات الثابتة فى حياتهم ونقط الارتكاز الأصيلة فى هذه الحياة ، وتبرزها وتصوغ منها الخطوط العريضة فى الصور الوضيئة المضيئة ، .. وإرادة التكريم واضحة فى اختيار هذه اللقطات وتثبيت الملامح والسمات التى تصورها)) .(١)

من صفات الجماعة المحمدية أنهم أشداء : أشداء على الكفار .. وأنهم رحماء ((رحماء بينهم)) .. هيئتهم الركوع والسجود والتعبير هنا يوحى كأنما هذه هيئتهم الدائمة ، وكأنهم فى حالة عبادة دائمة مستمرة وهذا ما استقرت عليه طبائعهم البشرية النقية ... أهدافهم العليا ، ومقاصدهم ، ومبتغاهم وشغلهم الشاغل ، وما يتطلعون إليه هو فضل الله ورضوانه ولا شئ سواه ، وهل هناك أفضل من هذه السمات والصفات وهل هناك ما هو أفضل من هذه الغايات العليا والمقاصد المثلى .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن – المجلد السادس ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣٣١ ، ٣٣٣٢ .

إن طبائعهم البشرية التى ذكرها المثل القرآنى ، وجاء ذكرها فى التوراة وكذلك فى الإنجيل ، تدل دلالة قاطعة على أنهم صفوة وأنهم نخبة ويدل أيضا على أن ((هذا المثل كذلك ليس مستحدثا ، فهو ثابت فى صفحة القدر ، ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيئ محمد(ﷺ) ومن معه إلى هذه الأرض ، ثابت فى الإنجيل فى بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون)) (١)

إن درجة الكمال الإنسانى ، غاية من غايات القرآن الكريم وهى غاية ليست مستحيلة ، فعن طريق الكمال العقدى ، والإيمانى الصحيح للإنسان ، وعن طريق التربية الإسلامية الصحيحة التى تعمل على تحقيق هذا الاعتقاد الصحيح ، سلوكاً إنسانياً راقيا ، متفقا مع مقتضيات هذه العقيدة الحقة تأسيا بالمعلم الأول – محمد رسول الله (ﷺ) المثال البشرى الكامل – فى القول والعمل ، وفى الحياة بكل نشاطاتها ، يمكن أن يتحقق للإنسان – المحمدى – درجة الكمال الإنسانى .. ولا يتم ذلك إلا عن طريق التربية الإسلامية الحقة ، والمناهج التعليمية المرتبطة بكتاب الله تعالى ، والمنطلقة من تعليماته وتوجيهاته ، وإرشاداته، ودلالاته فى جميع مجالات الحياة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٣٣ .

٢- الطبيعة البشرية الملتوية (طبيعة المنافقين) :

تكشف الأمثال القرآنية عن الطبيعة الإنسانية للمنافقين الذين يظهرون عكس ما يبطنون ، ويتغلغل القرآن الكريم من خلال أمثاله ، إلى أعماق هذه النفس البشريه ، ويكشف اللثام عن نبضات وخلجات هؤلاء المنافقين ، كى يظهر منازعهم ونوازعهم ، ويعرى نفوسهم من الداخل ، فيميط اللثام عن أدق حالاتهم وأحوالهم وطبائعهم البشرية ، ويظهر ما كانت عليه إرادتهم من خلال ما أبانت عنه تصرفاتهم وسلوكهم .

ويضرب القرآن الكريم أروع التشبيهات ، وأبلغ الصور حين يتحدث عن المنافقين ، إذ يحلل اتجاهاتهم ، ويفضح نقائصهم ونقائضهم ، وما حاولوا أن يحتفظوا به ويحافظون عليه ، وهكذا يظهرهم القرآن الكريم على حقيقتهم وذلك بهدف العبرة لكل معتبر ، وليأخذ الحيطة والحذر كل ذى طبيعة بشرية خيرة ..

قال تعالى : ((**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمى فهم لا يرجعون**)) . [١]

لقد ذكر الله تعالى صفات المنافقين ، وذلك ليبين خطرهم بكشف أسرارهم وأستارهم ، ولزيادة التوضيح ، ضرب الله مثلين قرآنيين لكشف

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآيات من ١٥ - ١٩ .

ما كانت عليه نفوسهم وطبائعهم البشرية ، وما هم عليه من ضلال ونفاق وما يصير إليه حالهم المتردى والمتردد من الهلاك والدمار .

قال ابن عباس : نزلت هذه الآيات فى منافقى أهل الكتاب ومنهم ((عبد الله بن أبى بن سلول ، ومعتب بن قشير والجد بن قيس)) كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان والتصديق ، ويقولون إنا لنجد فى كتابنا نعته وصفته . (1)

إن هذه الصورة تكشف عن طبيعة غير سوية ، ملتوية ، متلونة ، متقلبة ، إنها صورة المنافقين الذين عاشوا فى المدينة ، لكن هذا الطبيعة البشرية ، نجدها كنموذج يتكرر فى أجيال البشرية جميعا ، إذ يوجدون هم وأمثالهم فى كل عصر وكل مكان ... إنهم بطبائعهم الملتوية وما هم عليه من صفات لا يجدون فى أنفسهم الشجاعة أو الإرادة القوية ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح ، والحقيقة الواضحة ، كما أنهم لا يملكون حتى الإنكار الصريح ... إنهم يدعون إلى الإيمان وهم ليسوا بمؤمنين ، ويظنون فى أنفسهم الذكاء والقدرة على الخداع والمراوغة ، لكن القرآن الكريم – عن طريق أمثلته – يفضح طبائعهم ويكشف أسرارهم وأستارهم ، ويضعهم فى أماكنهم اللائقة بهم ...

إنهم يخدعون أنفسهم فى غير شعور منهم ، والسبب فى ذلك ما أضمروه فى طيات نفوسهم وخلجاتها ، وما استقر فى قلوبهم وبات سجيه وطبعا فيهم إنهم غير أسوياء ، إنهم مرضى كما قال الله تعالى ((فى قلوبهم مرض)) وبادعائهم الفطنة والذكاء والدهاء ، وبينما هم على حالهم هذا من المرض القلبى ((زادهم الله مرضا)) ولذا استهزأ الله بهم وتهكم بأفعالهم وضرب بهم الأمثال ، ليكونوا مادة للسخرية والتهلكم .

---

(1) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، القسم الأول ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

إن مثل هؤلاء المنافقين أصحاب الطبيعة البشرية المتلونة ، مثلهم ((كمثل الذى استوقد ناراً)) فلما أضاءت لهم ، لم ينتفعوا بها وهم طالبوها، مثل هؤلاء استحبوا العمى على الهدى ، من بعد ما استوضحوا الأمر ولذلك ((ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون)) كل ذلك نتيجة إعراضهم وصدهم عن الهدى وبعدهم عن طريق الفلاح والنجاة ، واستحبابهم الضلال والعمى عن اختيار منهم وإرادة حرة .

هؤلاء المنافقون عطلوا آذانهم عن السمع ، فهم " صم " كما أنهم عطلوا أيضا نعمة التحدث بفضل الله ومننه عليهم ، فهم " بكم " كذلك عطلوا نعمة الرؤية فهم " عمى " فلا يرجعون إلى الهدى ولا ينتفعون بالنور الواضح الجلى الذى لا ينكره كل عاقل .

لقد ضرب الله الأمثال بالمنافقين ، فشبههم ((فى اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وتأنس بها وأبصر ما عن يمينه وشماله ... فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار فى ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى فكذلك هؤلاء المنافقون فى استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغى على الرشد)) . (١) .

ثنى الله تعالى بتمثيل آخر للمنافقين ، وذلك زيادة فى الكشف والإيضاح وافضاح ما أضمروه وأبطنوه من كفر ونفاق ... فضرب لهم مثلا آخر يصور حالهم ، وما هى عليه طبيعتهم البشرية من قلق وتذبذب واضطراب وحيرة وتحبط ، فقال تعالى :

((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير)) . [1]

فى المثل القرآنى الأول : ((مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً)) .

وفى المثل القرآنى الثانى : ((أو كصيب من السماء فيه ظلمات)).

لقد شبه الله تعالى المنافق فى المثال الأول ((بالمستوقد ناراً))، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطع انتفاعه بانطفاء النار ، وفى المثال الثانى شبه الإسلام بالمطر لأن القلوب تحيا به كحياة الأرض بالماء ، وشبه شبهات الكفار بالظلمات ، وما فى القرآن من الوعد والوعيد بالرعد والبرق)) . [2]

وهكذا تكشف الأمثال القرآنية عن الطبيعة البشرية ، فأبانت عن طبيعة المنافقين ، من خلال الصفات التى ذكرها القرآن الكريم ، من كذب ومكر وخداع وسفه وإفساد فى الأرض وجهل وضلال واستهزاء وسخرية بالمؤمنين ، وتذبذب وحيرة وقلق ...

لقد أظهر هذان المثلان القرآنيان للمؤمنين أن المنافقين – ومن هذه طبيعتهم البشرية – موجودون فى كل زمان ومكان ، وعلى مر العصور واختلاف البيئات ... وأن كل من اتصف بمثل هذه الصفات أو أحدها ، فهو مشابه لهم فى طبيعتهم البشرية ، وأنه مثار للسخرية والتهلكم.

تكشف الأمثال القرآنية الطبيعة البشرية المتناقضة للمنافقين ، وتبين عداءهم الدفين للرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ولصحابته الكرام ، وتميط اللثام عن جبن هؤلاء المنافقين وتفرق قلوبهم وعدم وفائهم بالعهود والمواثيق وكذبهم المتعمد .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

(٢) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

نزلت هذه الآيات القرآنية الكريمة فى عبد الله بن سلول ، وقــوم من المنافقين ، وأخبرت عن حال وطبيعة المنافقين الذين أظهروا خلاف ما أبطنوا وأضمروا ، ومنهم يهود بنى قريظة وبنى النضير بالمدينـــة إلا أن هذه الآيات وهذه الأمثال تكشف عن طبيعة المنافقين وأهل الكتاب حيثمـــا كانوا فى أى زمان ومكان قال تعالى : ((ألم تر إلـــى الـــذين نـــافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهـــل الكتـــاب لـــئن أخـــرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون *لأنـــتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قـــوم لا يفقهـــون * لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جـــدر بأســـهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شـــتى ذلـــك بـــأنهم قـــوم لا يعقلون* كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبـــال أمـــرهم ولهـــم عذاب أليم * كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما فـــى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين .)) (١)

تكشف الآيات الكريمة عن الطبيعة البشـــرية للمنـــافقين ، الـــذين أظهروا خلاف ما أبطنـــوا ، إذ يقولـــون ليهـــود بنـــى قريظـــة ، وبنـــى النضير الذين كفروا برسالة محمـــد (ﷺ) لـــئن أخـــرجتم مـــن المدينـــة لنخرجن معكم منها ، وقالوا لهم : اثبتـــوا فـــى حصـــونكم فإننـــا معكـــم

---

(١) قرآن كريم : سورة الحشر ، الآيات ١١ : ١٧ .

كيف ما تقلبت حالكم ، وقد جعل المنافقين إخوانهم وذلك لأنهم شاركوهم الكفر ، وقالوا لهم : لن نطيع أمر – محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ولا نسمع من أحد إذا أمرنا نجذلانكم ... لكن الله تعالى يشهد على قولهم ، إنهم لكاذبون فيما قالوا ، ومخلفون ما وعدوا به ، وهذا حالهم دائماً وما تنطوى عليه نفوسهم أبداً ، وتتصف به طبائعهم البشرية على مر السنين والأيام .

إن الطبيعة البشرية لهؤلاء المنافقين ، وما يتصفون به من جبن وعدم قدرة على ملاقاة المسلمين أو مواجهتهم أو قتالهم إلا إذا كانوا محصنين فى قلاعهم ومن وراء حيطان وجدر ، وذلك مرجعه فرط هلعهم وانعدام شجاعتهم ... كما أن من طبيعتهم البشرية أن بأسهم فيما بينهم شديد ، ودائما على خلاف فى الرأى ، مهما بدأ منهم أنهم مجتمعون ومتفقون ، فالحقيقة أنهم متفرقون .

هذه الطبيعة البشرية المتقلبة غير السوية لأهل الباطل – المنافقين – ليست محصورة فى زمان بعينه أو مكان محدد ، ولكن توجد هذه الطبيعة البشرية ويوجد أصحابها فى كل زمان ومكان ، وتراهم دائماً على خلاف ونفور فيما بينهم من أمور ، ولا يجتمعون إلا على عداوة الحق وأهله فقط .

من خلال الأمثال القرآنية يتضح أن المنافقين ((كمثل من قبلهم)) وهم أهل بدر الذين لاقوا وبال أمرهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة العذاب الشديد .. إن مثل هؤلاء كمثل الشيطان الذى أغرى الإنسان بالكفر ثم تخلى عنه وخذله خذلانا مبينا ، وإن صورة ((الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بنى الإنسان تتفقان مع طبيعته ومهمته ، فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان ، وحاله هو هذا الحال)) . [١]

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، مرجع سابق ، ص ٣٥٣٠ .

هكذا صورت الأمثال القرآنية المنافقين ((أصحاب الطبيعة الإنسانية الملتوية)) بصورة تشمئز منها النفوس السوية ، لقد كشفت الأمثال القرآنية حالة المنافقين وهم فئة من الناس ، يتصفون بأنهم ضعاف الشخصية ، مترددون لا يستطيعون أن يتخذوا موقفا صريحا من الإيمان ، وذلك لضعفهم وجبنهم .. وادعائهم القوة ، وإظهارهم الشجاعة المزعومة . (١)

إن المنافقين ضعاف الثقة بأنفسهم ، ينقضون العهد ، جبناء ، مراءون كذابون ، بخلاء ، أصحاب ميول وأهواء ... يظهرون الإيمان إذا وجدوا بين المسلمين ، ويظهرون الشرك إذا وجدوا بين المشركين ، وذلك لكونهم متقلبى المزاج ، غير مقتنعين . لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ، يعملون على إثارة الفتن دائماً يميلون إلى الخداع ، يحسنون الكلام للتأثير فى السامعين ، يكثرون من الحلف لدفع الناس إلى تصديقهم وهم كاذبون وهذه خصالهم وخصائصهم الشخصية . (٢)

هل بعد هذه الصفات الذميمة من صفات أخرى تنطبق على المنافقين ، لقد ضرب الله الأمثال القرآنية ، وأوضح صورة المنافقين ، وما هم عليه من صفات ، فى العقيدة والأخلاق والعبادات ، والعلاقات الاجتماعية ، ليكره الناس فيهم وليحذر كل معلم وكل مرب من هذه الصفات والسمات ، أن يكون متصفا بأحدها أو أن يربى أطفاله على هذه الصفات المقيتة ، من هذا يكون الدرس التربوى المفيد من وراء ذكر الأمثال القرآنية وتأثيرها فى العملية التربوية الإسلامية .

---

(١) محمد عثمان نجاتى . مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

٣- الطبيعة البشرية الشريرة ((طبيعة الكفار)) :

تتضح لنا الطبيعة البشرية الشريرة ، طبيعة الكفار من خلال الأمثال القرآنية ، وما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة : ((ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لا يعقلون)) . [١]

حول هذا المثل القرآنى يقول الإمام ابن قيم الجوزية : ((لك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق ، فإن جعلته من المركب ، كان تشبيها للكفار فى عدم فهمهم وانتفاعهم ، بالغنم التى ينعق بها الراعى ، فلا تفقه من قوله شيئا ، غير الصوت المجرد الذى هو الدعاء والنداء ، وإن جعلته من التشبيه المفرق ، فالذين كفروا بمنزلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة الذى ينعق بها، ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق ، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق)) . [٢]

إن هؤلاء الكفار الذين لا ينتفعون بحواسهم ، آذانهم ، وألسنتهم وعيونهم ، إنهم صم وبكم وعمى ، وبالتالى كيف يهتدون ، طالما أن منافذ المعرفة لديهم معطلة لا تؤدى وظيفتها وأدوارها التى خلقت من أجلها ؟

إن طبائعهم البشرية الشريرة ، فى كونهم لم ينتفعوا بحواسهم ، ونوافذ المعرفة والهداية هى طبائع البهائم والعجماوات ، بل هم بحالتهم هذه أضل سبيلا من الحيوانات فى كونهم لا يفقهون ، وهم سائرون ومستمرون فى ضلالاتهم يتخبطون بلا هدى ولا رشاد .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١٧١ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

ترسم الأمثال القرآنية صورة لشخصية الكافرين بأنهم لا يؤمنـــون بعقيدة التوحيد ، ولا بالرسل ولا باليوم الآخــر ، والبعــث ، والحســاب ، والجنة ، والنار ، إنهم يقلدون ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل ، لقــد تجمــد تفكيــرهم وعجزوا عن إدراك حقيقة التوحيد التى يدعوا إليها الإسلام .[1]

يشبه الله تعالى الكافر، صاحب الطبيعة البشرية الشريرة، بالكلــب فى كونه دائم اللهث ، فى كل حال ، وعلى أى جنب كان ، ويبين الله هــذه الطبيعة الحيوانية من خلال مثل قرآنى فى سورة الأعراف ... قال تعالى :

((واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منهــا فأتبعــه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليــه يلهــث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الــذين كــذبوا بآياتنــا فاقصــص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الــذين كــذبوا بآياتنــا وأنفسهم كانوا يظلمون)) .[2]

وهكذا تكون حالة الإنسان الذى كفر ، يشبهه الله تعالى فى حالــة تركه العمل بالكتاب ، والنفر به ، واتباعه هواه وشيطانه ، يشبهه بالكلب الذى هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرا ، وأخلها طبيعة ، ولا تتعدى همته بطنه ... هذه الصورة تدرك بالحس ، وقد جيئ بها لتقريب صــورة الطبيعة الإنسانية للمكذبين بآيات الله فى أى عصر وفى كــل عصــر دون تحديد بالزمان أو المكان . أنها طبيعة حيوانية ... طبيعة الكلب الذى يلهث باستمرار لسبب ولغير سبب ، إن أجهدته أو لم تجهده فهو يلهــث ... إن حملت عليه أو لم تحمل عليه فهو دائم اللهث ... فما أبلغ هذا التشــبيه ، وما أدق التصوير القرآنى .

---

(١) دكتور محمد عثمان نجاتى : مرجع سابق ، ص٢٢٧ .
(٢) قرآن كريم : سورة الأعراف ، الآيات ١٧٥ : ١٧٧ .

وهكذا تكون طبيعة وحال من انسلخ من آيات الله تعالى وكفر بها من الناس جميعا وتستمر الأمثال القرآنية فى تشبيه الطبيعة الإنسانية للكافر بطبيعة الحيوانات ، فى اشتراكها معها فى صفات وضيعة ، فيضرب الله تعالى الأمثال الموضحة كذلك ، فيشبههم بالحمار . قال تعالى :

((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين)) . (١)

لقد شبه الله تعالى من حمله كتابه ((ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعوا إليه ، ثم خالف ذلك ، ولم يحمله إلا على ظهر قلب ، فقراءته بغير تدبر ، ولا تفهم ولا اتباع له ، ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار)) . (٢)

والتمثيل بالحمار أبلغ فى الذم لاشتهار الحمار عند الناس بالبلادة والغباء والجهالة ، وهذا هو حال وطبيعة من كفر بأنعم الله ولم يؤد حقها.

إن حمل أمانة العقيدة والشريعة ((يبدأ بالإدراك والفهم والفقه وينتهى بالعمل لتحقيق مدلولها فى عالم الضمير وعالم الواقع)) . (٣)

إذ العبرة ليست بحمل الكتب ، أو حفظها أو تناولها بالدراسة ، أو التحقيق ، وإنما العبرة بالفهم ، والتدبر والتفقه ، والتطبيق الفعلى ... إنها عملية إدراك ، وفقه وعمل بما فى الكتب ، وإلا كانت طبيعة من يحمل هذه الكتب ، وهذه الأمانة كطبيعة الحمار فى بلادته ، وغبائه وجهله المفرط ، وتضييعه الأمانة .

---

(١) قرآن كريم : سورة الجمعة ، الآية ٥ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن . المجلد السادس . ص ٣٥٦٧ .

وتستمر الأمثال القرآنية فى تشبيه الطبيعة البشرية للمجرمين ، المكذبين بيوم الدين حتى أتاهم اليقين وهو الموت الذى يقطع كل شك . ويضرب الله المثل بهؤلاء فى سورة " المدثر " فيشبههم " بالحمر الوحشية " قال تعالى : ((فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)) . (١)

شبه الله تعالى هؤلاء الصنف من البشر ، أصحاب الطبيعة البشرية الشريرة ، الذين كذبوا بآيات الله ، وأعرضوا عنها ، شبههم فى إعراضهم ونفورهم عن القرآن الكريم ، بحمر وحشية ، وهى مستنفرة تفر فى كل اتجاه حين تسمع زئير الأسد وتخشاه ، وهذا التشبيه غاية الذم والاحتقار لمن كانت هذه طبيعته البشرية وصفاته الإنسانية .

إن هؤلاء نفروا عن الهدى الذى فيه سعادتهم ، وكانوا فى حالة نفورهم كالحمر الوحشية فى نفورها عن ما يهلكها ويعقرها .

وتستمر الأمثال القرآنية فى تشبيه الكافرين بالحيوانات وبالحشرات تارة أخرى ، فيذكر الله تعالى بأن طبيعتهم البشرية ضعيفة التكوين هشة ، وقد جاء هذا المعنى فى سورة العنكبوت ، فى قوله تعالى :

((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون))(٢) .

إن من اتخذ من دون الله أولياءً أو أصناماً يعبدونها ويقصدونها إنهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، ومثلهم كمثل العنكبوت – الحشرة –

---

(١) قرآن كريم : سورة المدثر ، الآيات ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

(٢) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

الضعيفة التى لا تقوى على شئ ، اتخذت بيتا ضعيفا ، لا يغنى عنها فى حر أوقر ... ولقد ضرب الله هذا المثل ليبين أن القوة بيد الله وكل ما دون الله مخلوق ، وكل مخلوق ضعيف ولا يقوى على جلب نفع أو دفع ضرر .

إن الله هو القوى ، وليس هناك من قوة أو حماية إلا قوته وحمايته ، هذه هى الحقيقة التى يغفل عنها أو يتغافل عنها كثير من الخلق، وحين يغفلون أو يتغافلون عنها يسوء تقديرهم لجميع القيم وتفسد لديهم كل المعايير والضوابط، وتختل الموازين ، ولا يعرفون أين يتوجهون، وماذا يأخذون أو يتركون ، وعندئذ تخدعهم قوى أصنامهم أو أوليائهم من دون الله ، تخدعهم قوة الحكم والسلطان فيحسبونها القوة القادرة التى تعمل فى هذه الأرض ، وتخدعهم قوة المال فيحسبونها القوة المسيطرة على أقدار الناس وأقدار الحياة الدنيا ... وتخدعهم قوة العلم يحسبونها أصل القوة وأصل المال ... وتخدعهم هذه القوى الظاهرة ، تخدعهم فى أيدى الأفراد وفى أيدى الجماعات وفى أيدى الدول ... وينسون القوى الوحيدة التى تخلق سائر القوى الصغيرة وتملكها وتمنحها وتوجهها وتسخرها كما تريد ، حيثما تريد . [1] ينسون قوة الله المطلقة ، والعظيمة ، وغير المحدودة بحدود الزمان أو المكان .

إن قوة الله وحدها هى القوة الحقيقية المهيمنة والمتحكمة ، والقادرة والمتصرفة ، وما عداها فضئيل واهن هزيل ، كخيوط العنكبوت فى حساب الله تعالى ، وفى حساب العقيدة حين تصح ، وحين تعرف حقيقة القوى وتحسن التقدير .

قال تعالى : ((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)).[2]

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن – المجلد الخامس – ص ٢٧٣٦ .

(٢) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .

إن العنصر العلوى الذى يوجد فى الإنسان هو الذى يؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان ، بل ويقرر له أهدافه وغاياته النبيلة فى الحياة الدنيا والآخرة على حد سواء ، ويرسم له خطوط منهجه ويضيف إلى بشريته النزوع الدائم إلى مصدر القيم السامية والمعارف الكريمة التى تجعل له حقيقة الإنسان الكامل ... وهكذا نستطيع القول " إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو قبسة الروح من الله سبحانه وتعالى التى خصته بالاستعداد لمعرفة الله ، ولإيمان به وعبادته ، وتحصيل العلوم وتسخيرها فى عمارة الأرض ، والتمسك بالقيم والمثل العليا فى سلوكه الفردى والاجتماعى . [١]

ولقد أودع الله سبحانه وتعالى فى الإنسان " خصائص القدرة على إدراك الخير والشر ، والهدى والضلال، والحق والباطل، فقال تعالى : ((وهديناه النجدين)) [٢] ليختار أحدهما ، ففى طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أى النجدين ... وقد اقتضت مشيئة الله أن تمنحه القدرة على سلوك أيهما " [٣]

ورغم تكوين الإنسان من جانبين متناقضين أحدهما مادى والآخر روحى (معنوى) إلا أنه " لا توجد الروح والمادة فى الإنسان منفصلتين أو مستقلتين إحداهما عن الأخرى ، وإنما هما ممتزجتان فى وحدة متكاملة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة البلد ، الآية ١٠ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ص ٣٩١٠ ، ٣٩١١.

إن العالمين الذين يتصفون بصفات العلماء العاملين الباحثين دوما عن الحق والحقيقة ، هم الذين يعرفون دلالات الأمثال التـي يضـربها الله تعالى لعباده ليسترشدوا بها وبما وراءها من حكمة يـوجههم الله إليهـا ، وهم أصحاب التفسير الصحيح والفهم السليم والاستقبال الواضح .

إن الطبيعة البشرية للكفار الذين اتخـذوا مـن دون الله أوليـاء ، طبيعة ، هشة ، لا تقوى على شئ مثلهم ((كمثل العنكبوت اتخذت بيتـا)) وإنهم لا يعلمون أن العنكبوت حشرة صغيرة رخوة واهنة ضعيفة لا حماية لها ولا تقوى على شئ ولا وقاية لها من بيتها الضعيف الواهن ... ورغم كل هذا تشبهوا بها وشاركوها نفس الصفات الواهية ، وذلك نقصان فـي عقولهم وخسران فى حساباتهم .

إن الذين تتفتح قلوبهم وبصائرهم ، هـم العـالمون ، بآيـات الله الكونية ، التى أحكمت ووضعت بنظام ودقة وحكمة ، فى كل جنبـات هـذا الكون الفسيح المترامى الأطراف ، وحيثمـا امتـدت الأبصـار . هـؤلاء العالمون هم الذين تلقوا عن الله ببصائر مفتوحة وقلوب مؤمنـة واعيـة خاضعة لله خاشعة ، وبذلك كانوا فى مأمن من كل خـوف وفـى سـعادة دائمة ، ورضا عن الله .

إن الطبيعة البشرية للمشركين تتصف بالضعف الشـديد والـوهن المتناهى ، ورغم أنهم ضعفاء إلا أنهم صاروا أضعف ممـا كـانوا عليـه باتخاذهم من دون الله أولياء وأصناماً يعبدونها ، فلم يزيـدوهم إلا وهنـا على وهن ، وضعفاً على ضعف ، وخسارة فوق خسارة ، وذلـك لسـوء تقديرهم وانصرافهم عن الحق واستبدالهم طريق الغـى بطريـق الرشـاد والهداية .

قال تعالى : ((**واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونوا عليهم ضدا**)) . [1]

إن فقدان الكافرين للإيمان بعقيدة التوحيد والبعث والحساب فى الآخرة ، أفقدهم القوة المنظمة والمنسقة للسمات الأخرى من شخصياتهم ، الموجهة نحو هدف محدد واضح فى الحياة ، وإن غياب الهدف الواضح الموجه للسلوك أفقد الكافرين توازن شخصياتهم وانحرفوا نحو إشباع شهواتهم وملذاتهم البدنية والدنيوية ، كما أفقدهم اتزانهم الانفعالى فكرهوا المسلمين وحقدوا عليهم وحسدوهم ، وكانوا عدوانيين معتدين ، كما ساعد عدم اتزان شخصياتهم إلى جمود تفكيرهم . [2]

نفرت الأمثال القرآنية المسلمين من سمات الكافرين وبالتالى وجب على كل من يعمل فى ميدان التربية أن يعرض هذا السمات للتنفير منها وعدم تقليدها ، فى مقارنتها بالسمات السوية للشخصية المسلمة ليتمثلها الطفل المسلم لينشأ النشأة الإسلامية الصحيحة من خلال هذه التربية الإسلامية .

*** تعقيب :**

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الشخصية الإنسانية السوية كما جاءت صفاتها فى الأمثال القرآنية هى الشخصية التى توازنت فيها العقيدة مع العمل والعقل البشرى ... فقد شبه المثل القرآنى الشخصية الإنسانية فى الحالة الأولى ، ((الطبيعة الخيرة)) بأنهم آمنوا بالله رباً وبرسوله – صلى الله عليه وسلم – نبياً ورسولاً . ، وأنهم التزموا بمنهج التوحيد

---

(١) قرآن كريم : سورة مريم ، الآية ٨١ .

(٢) دكتور محمد عثمان نجاتى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ .

ومقتضى هذا المنهج من قول وعمل ، فكانوا ((ركعـا ، سـجدا)) ، فـى حالة عبادتهم ، وكانوا فيما بينهم ((رحماء بينهم)) وكانوا فى أعين الكفار ((أشداء)) .. كل هذه الصفات والطبائع الإنسانية تجمعت فيهم ، بحسب الحدث والزمان والمكان .

لقد كان أصحاب الطبائع الإنسانية ((الخيرة)) فـى حالـة عبـادة مستمرة كما ينبغى أن تكون العبادة على كل حال .

وتبين الأمثال القرآنية الطبائع الإنسانية الملتوية ((للمنـافقين)) وتكشف عن هذه الطبائع ، غير السوية بسبب تعطـيلهم أدوات المعرفـة الصحيحة ، فأوصدوا نوافذها وأظهروا عكس ما أبطنوا ، وقالوا عكس ما اعتقدوا ، وضرب الله لهم الأمثال ، وكشف ما كانوا عليه من تردد وتذبذب واضطراب وحيرة على قدر انحرافهم عن الطريق الذى ارتضاه الله لعبـاده الطائعين المخلصين .

كشفت الأمثال القرآنية طبائع ((المنافقين)) وأبانت عداءهم الشديد والدفين للعقيدة الإسلامية ولأصحابها ، وهذه الصفات والطبائع ، لا تقتصر على زمان بعينه ولا مكان بعينه ، ولكنها موجودة فى كل زمان أو مكان ، تنحرف فيه عقيدة الإنسان .

ولذا وجب على أصـحاب العقيـدة الصـحيحة أن ينتبهـوا ، وأن يستيقظوا ، ويأخذوا حذرهم ويتمسكوا بعقيدتهم ويهتـدوا بهـديها ولهـم النصر والغلبة والتمكين بإذن الله تعالى ، والله غالب على أمره .

كشفت الأمثال القرآنية ، صفات الكفار وهم أصحاب الطبيعة الإنسانية الشريرة الذين لم ينتفعوا بعقولهم وفطرهم السليمة التى منحها الله لهم ، بل ضلوا وأضلوا من أجل حياة دنيوية ، وملذات فانية وشهوات بهيمية ، وكانوا كالأطفال الذين لا يقدرون العاقبة ، ولا يرتدعون ولا يسيطرون على إرادتهم ولا يقدرون الأمور قدرها.

شبه الله تعالى الكافرين ((أصحاب الطبيعة الإنسانية الشريرة)) بالكلب مرة فى لهاثه الدائم ، كما شبههم بالحيوانات ، بما عليها من صفات غير لائقة بالإنسان .

شبههم مرة " بالحمار " فى حالة حملهم التوراة ، كتاب الله الذى نزله على نبيه موسى – عليه السلام – فلم يعملوا بما جاء بالتوراة ، من فرط بلادتهم وغبائهم وتضييعهم الأمانة .

كما شبههم بالحمر الوحشية ، التى تهرع وتفر فى كل اتجاه بمجرد سماعهم زئير الأسد ، وهذا التشبيه يدل على ذمهم واحتقارهم .

كما شبه الله تعالى فى أمثاله الكافرين " بالعنكبوت " فى ضعفهم ، وعدم قدرتهم على جلب النفع أو دفع الضرر .

وهكذا تعمل الأمثال القرآنية على تربية الفرد تربية إسلامية سوية تتوازن فيها متطلبات الروح وحاجات الجسد ، فى الحدود التى شرعها الله لعباده والتزم بما جاء بها ، ولم يبالغ فى إشباع حاجاته وأيضا أشواقه الروحية ، ولكن كان وسطا عدلاً بين مطالب الجسد ، وأشواق الروح ، فتحققت فيه الشخصية الإنسانية السوية المعتدلة .

تعرضت الأمثال القرآنية للفروق الفردية بين الناس من خلال التعرف على استعداداتهم وقدراتهم ، وقد أثرت الوراثة والبيئة فى هذه الفروق بين الناس ، ظهر هذا فى الطبيعة البشرية – السوية (الطبيعة

الخيرة) كما ظهر فى الطبيعة الإنسانية الشريرة . وطبيعة الكافرين . وأيضا ظهر فى الطبيعة البشرية للمنافقين (أصحاب الطبيعة الإنسانية الملتوية) .

من هنا يأتى دور التربية الإسلامية من خلال الأمثال القرآنية ، فيحبب الوالدان أطفالهما فى أصحاب العقيدة الصحيحة والسلوكيات المتفقة مع هذه العقيدة وما يجب أن يكونوا عليه من سمات فيقلدوهم ويقتفوا أثرهم حتى يصيروا أمثالهم ، ويعرض الوالدان صفات وسمات الكافرين أمام أطفالهم وذلك للتنفير من هذه السمات فيبتعد الأطفال عن أصحاب هذه السمات ويتمسكوا بصفات وسمات المؤمنين أكثر فيشبوا على حب العقيدة والمتمسكين بها والعمل من أجلها . ويأتى فى النهاية سمات المنافقين المذبذبين ، الذين لا هم مع هؤلاء ولا مع هؤلاء .

ويمكن للوالدين أن يربوا الأطفال على أساس من التفكير العلمى الذى يقوم على :

(١) البرهان والدليل وعدم الخضوع للتقليد الأعمى ، وهنا تسود فكرة العلية أو السببية ، وأن لكل سبب مسبب ، ويستمر الوالدان مع الأطفال فى التسلسل حتى يصلوا فى النهاية إلى أن هناك مسبب لكل سبب وليس وراءه مسبب آخر ، وهو الله سبحانه وتعالى ، على أن يراعى الوالدان النمو العقلى للطفل واستعداده وقدراته .

(٢) على الوالدين أن يربيا أطفالهما على التفكير السليم ويتجنبا التناقض فى أقوالهم وأفعالهم ، على تطابق أقوالهم أفعالهم حتى يشب الأطفال على هذه المبادئ فى حياتهم .

(٣) على الوالدين أن يربيا اطفالهما بضرب الأمثال من الحياة اليومية للخير والشر وصفات الخيرين ويسخروا من صفات الأشرار ، وأن يسلك الوالدان سلوك الأخيار أمام أطفالهما ، حتى يتسنى للأطفال تقليد الأباء والأمهات ، وعلى الوالدين أيضا تقع مسئولية تبصير أطفالهما بنتائج العمل الخير ، فيستحسنوه ونتائج العمل الشرير ، فيستقبحوه ، ولا يقلدوه ، وبذلك يكون للأمثال القرآنية دور تربوى فى حياتهم وسلوكياتهم .

- **الأمثال القرآنية تؤكد القيم العلمية والمعرفية :**

يحتل العلم فى القرآن الكريم مكانة رفيعة ، لذا حث الله تعالى الإنسان على التفكير فى كون الله تعالى ، والنظر فى ظواهره المختلفة ، وتأمل بديع صنعه ومحكم نظامه ، كما حثه أيضاً على تحصيل العلم وذلك لمعرفة سنن الله وقوانينه فى جميع مجالات العلوم المختلفة ، إذ الغاية من هذه المعرفة هو تمكين الإنسان من عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله تعالى ولذلك فإن المعرفة والعلم فى نظر الإسلام ينبغى أن تؤدى إلى تعديل السلوك الإنسانى [١] وليس المقصود بالعلم علم الدين فقط وإنما يتعداه إلى علم الدنيا أيضاً ، ذلك لأن المسلم بهذا العلم يستطيع أن يقوم برسالة فى الحياة [٢] إن قيمة العلم وذروة سنامه ما يتصل بالله سبحانه وتعالى، والأنبياء صلوات الله عليهم واليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجنة ونار، وشرف العلوم بشرف موضوعاتها [٣] .

لقد اتسم العلم – فى التصور الإسلامى – بالخير ، ولم يستهدف التعالى أو المباهاه أو التسابق من أجل إيجاد وسائل التدمير والتخريب ، وإنما هو قراءة فى الكون باسم الله ، الخالق من عدم ، الكريم الأكرم .

ولما كان العلم – فى التصور الإسلامى – ضرورة لنفع الإنسان والمجتمع الإنسانى كله كان لزاماً أن يقوم على مجموعة من القيم الإسلامية التى تحدد وجهته ، إذ عن طريقه يمكن تحقيق إنسانية الإنسان ، ورفع درجاته واستحقاقه للخلافة على منهج الله تعالى فى الأرض .

---

(١) دكتور مصطفى محمد متولى : أهداف التربية الإسلامية (محمد شحات الخطيب وآخرون : أصول التربية الإسلامية) ، الرياض ، دار الخريجى للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص ٨٤ .

(٢) دكتور عبد الجواد السيد بكر ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) دكتور أحمد السيد على رمضان ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

- ومن هذه القيم العلمية والمعرفية :-
- قيمة الاستدلال على وحدانية الله تعالى

ضرب الله تعالى الأمثال للناس ، وأمرهم بعبادته وحده ، بعد أن يستدلوا على وحدانيته ، وتفرده بالخلق ، فقال تعالى :-

" يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون " (١)

النداء للناس كافة ، يبين لهم أن الله الذى تفرد بالخلق ، وجب أن يتفرد بالعبادة فهو الذى " جعل لكم الأرض فراشاً " أى أعدها لتكون سكنا مريحاً وملجأ واقياً كالفراش وهو الذى جعل " السماء بناء " فيها المتانة والتنسيق فى البناء ، وهى ذات علاقة وثيقة بحياة الناس فى الأرض ، وهو الذى " أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم " إن إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به دلاله على وحدانية الله تعالى، ولا يستطيعها غيره . إن وحدة الكون وتناسق وحداته وصداقته للإنسان والحياة ليدل على وحدانية الله ، وبالتالى وجوب تفرده بالعبادة وحده . (٢)

قال تعالى " إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين " (٣)

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآيتان ٢١، ٢٢ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٤٧ .

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية٢٦

إن الله تعالى هو رب الصغير والكبير ، خلق البعوضة والفيل . ويستدل على وحدانيته من خلال خلقه ومعجزة السر المغلق الذى لا يعلمه إلا الله ، ولا يقدر عليه إلا هو سبحانه ، على أن العبرة فى المثل القرآنى ليست فى الحجم ولا فى الشكل [١] ، وإنما فى الاستدلال على وحدانية الله وقدرته وعظمته ، وأن الأمثال القرآنية أساليب تربوية وأدوات للتنوير والتبصير وهى ليست كأمثال البشر ، إنما هى من كلام الله الذى يتعبد بتلاوته قال تعالى : " **الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون** " [٢]

إن الله تعالى هو الذى خلق ، وتفرد بهذا الخلق وحده ، وهو الذى يرزق ، ولا رازق سواه ، وهو الذى يميت ، وهو الذى بيده الحياة والإحياء، يسوق الله الدلالات المتعددة على وحدانيته ، فأما الخلق والايجاد فإن المشركين مقرون به ، وأما الرزق فهم لا يملكون أن آلهتهم المدعاه ترزقهم شيئاً ، وأما الإماتة فلا حجة لهم على غير ما يقرره القرآن فيها ، أما الإحياء فإنهم يمارون فى وقوعه . [٣]

قال تعالى : " **خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من زوج كريم** " [٤]

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٥٠ .
(٢) قرآن كريم : سورة الروم ، الآية ٤٠ .
(٣) سيد قطب : : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٥٠ .
(٤) قرآن كريم : سورة لقمان ، الآية ١٠

يضرب الله تعالى الأمثال الدالة على وحدانيته ، بآيات القدرة والحكمة ، من خلال الكون الواسع الذى لا يدعى أحد من خلقه من البشر أنه خلقه ، ولا أن أحداً آخر خلقه من دون الله تعالى .

قال تعالى : " يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكون فى صخرة أو فى السماء أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير " (١)

إن الاستدلال على وحدانية الله تعالى تتجلى فى قول لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ليلفت نظره إلى قدرة الله تعالى ، وإحاطة علمه وشمول لطفه ، حتى فى حبه الخردل الصغيرة التى لا وزن لها ولا قيمة تذكر " فتكن فى صخرة " أى محشورة فيها ولا تظهر ولا يتم التوصل إليها بسهولة رغم التقدم العلمى واكتشاف الأجهزة الدقيقة الخاصة بالرؤية ، أو تكن فى السموات ، فى ذلك الكون الفسيح الذى يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة (٢) أو ذرة دقيقة .. ، فما بالك بحبة الخردل التى يعلمها الله ويأت بها .. ولا يستطيع أن يأتى بها غيره إن هذا دليل قدرة الله ولا أدل من ذلك على وحدانيته سبحانه وتعالى .

●قيمة العلم والتعلم :

إن هذا الكون الفسيح هو المسرح الأول لفكرنا وهو الينبوع الأول لإيماننا ، وإن التفكير فريضة إسلامية كما قال العقاد ، وأن المجال الأول للفكر هو مادة هذا الكون (٣) هذا الكون – فى التصور الإسلامى – هو

---

(١) قرآن كريم : سورة لقمان ، الآية ١٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن . المجلد الخامس ، ص٢٧٨٩

(٣) الشيخ محمد الغزالى : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ،ص ص ٥٩، ٦٠ .

آية الله الكبرى ومعرض قدرته المعجزة وهو من بديع صنع الله تعالى وبالغ إتقانه ، ولم يشاركه أحد فى خلقه . (١)

إن الكون وما فيه من آيات الله الكثيرة الناطقة من غير لسان وشفتين ، إن هو إلا برهان من البراهين الساطعة التى تنطق بالحق ، ولسان حالها أن لهذا الكون مدبر يدبره ، خلقه بحكمته ، ونظمه بقدرته ، ... وإليه يرجع الأمر كله ، وهو على كل شئ قدير (٢)

أعلى القرآن الكريم قيمة العلم النافع والعلماء العاملين ، فبالعلم يمكن تسخير كل ما فى الكون من مخلوقات لصالح الإنسان وخدمته وسعادته فى الدنيا والآخرة وأما العلماء فوظيفتهم التدبر فى صفحات الكون حتى يتعرفوا على سنن الله وقوانينه الحاكمة لهذا النظام العجيب ، وهذه الدقة المتناهية .

العلماء العاملون هم الذين يعرفون الله معرفة حقيقية ، يعرفونه من خلال آثار صنعته التى يدركونها من خلال آثار قدرته ، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤيتهم آثار إبداعه وعظيم إمتنانه ، ومن هنا وجب عليهم خشيته وطاعته وعبادته عبادة حقة على قدر معرفتهم المعرفة الحقة .

قال تعالى : " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها و غرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانها كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور " (٣)

---

(١) دكتور مصطفى محمد متولى : مرجع سابق ، ص ٧٩

(٢) دكتور عبد الجواد السيد بكر : مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٣) قرآن كريم سورة غافر ، الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

إنها لفتة كونية عجيبة من الفتتات الدالة على مصدر هذا الكتـاب المفتوح الذى هو الكون الفسيح ، يضرب الله الأمثال للناس ، ليتعقلوها . لفتة تبدأ بإنزال الله تعالى الماء من السماء ، وإخراج النبـات والثمـرات والخيرات المختلفات الألوان ، ليلفت الأنظار ، ثم ينتقل من الثمـار إلـى الجبال الشاهقة ، ذات الألوان المختلفة المتعـددة (جـدد) أى طرائـق وشعاب مختلفة فى درجاتها ، وتدخلاتها . (١) وكلها دالة علـى عظمـة القدرة الإلهية فى إبداعها .

وهكذا توقظ الأمثال القرآنية حاسة الذوق الجمالى العالى ، لـدى الإنسان المسلم هذا الجمال المجرد يكون وحدة متناسقة فى الكـون كلـه يستحق الإلتفات والانتباه إليه ، وتسـبيح الله وحمـده وشـكره عليـه ، وإفراده بالعبادة وحده ، لأنه هو المستحق لها بلا شريك ولا نظير ، ولا ند ولا مماثل .

• قيمة التعقـــل

تهتم التربية الإسلامية بالأمثال القرآنية لكونها تربى العقل وتزوده بالمعارف والمعلومات والمفاهيم التى من شأنها تسـاعده علـى تكـوين الشخصية الإسلامية التى تستطيع أن تسهم فى تنمية الفرد والمجتمـع ، وذلك ليكون العقل هو مناط التكليف ، وهو القوة المدركة التى خلقهـا الله تعالى فى الإنسان ليكون مسئولاً عن أقواله وأفعاله وسلوكياته التى يعقلها ، لقد دعا القرآن الكريم إلى التعقل والتفكير والتدبر مسايراً بذلك طبيعـة الإنسان ، فالأصل فيه أنه عاقل ومفكر ، لذا فإن الله سبحانه وتعالى حينما يخاطبه عن طريق وحيه إنما يخاطبه بما يتسق وطبيعته البشرية (٢) .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٩٤٢ .

(٢) دكتور أحمد السيد على رمضان ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

يضرب الله الأمثال القرآنية تربية للناس ، وما يعقل هذه الأمثـال والحكمة منها ومغزاها التربوى إلا العالمون بها .

قال تعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " (١)

من خلال المثل القرآنى يدرك المؤمنون بالله ، حقيقة القوى فـى هذا الوجود ، كما يدركون النظام الدقيق والتناسق العجيب فى هذا الكـون الذى يدل على عظمة الله وقدرته ، إلا أن هذه الأمثال التى يربى بهـا الله الناس، لا يعلمها كثير منهم ولا يعقلون ولا يعرفون المغزى من ورائها ، إنما يفهمها ويدبرها الراسخون فى العلم فقط ، المتضلعون منه (٢) وذلك لعلمهم عن الله وفهمهم عنه وأنه تعالى خلق السموات والأرض بالحق .

قال تعالى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشـعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثـال نضـربها للنـاس لعلهـم يتفكرون " (٣)

ويقول الله تعالى معظماً لأمر القرآن ومبينا علو قدره وأنه ينبغى أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعـد الحـق ، والوعيد الأكيد ، فإذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القـرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عـن الله أمره وتدبرتم كتابه (٤) إن هذا القرآن الكريم وهو كتاب الله تعالى يربـى

---

(١) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .

(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثالث ، ص ٤٢٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحشر ، الآية ٢١ .

(٤) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الرابع ، ص ٣٦٦ .

المسلم على الطاعة ، ويربيه على الأخذ عن الله تعالى والتلقى عنه والاهتداء بهديه وما ذلك إلا المسلم ووصولاً به إلى الشخصية الإنسانية الكاملة ، والنموذجية التى قرأت كتاب الكون فعقلت عنه ، وقرأت كتاب ربها فتعلمت منه وتربت به .

إن هذه القيم العلمية والمعرفية " تساعد على إدراك الحق " (١) ويضرب الله تعالى الأمثال القرآنية فى القرآن الكريم فى هذا الجانب ليساعد الإنسان على إدراك الحق والحقيقة ، كما يساعده على إدراك التصور الإسلامى الصحيح لفكرة الألوهية ، والحياة والإنسانيه والمجتمع الذى يعيش فيه وبمعنى آخر إنما يضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم لتربية المسلم التربية الحقة التى تؤهله للاستخلاف على منهج الله تعالى فى الأرض .

قال تعالى : " ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شئ ، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " (٢)

لقد ضرب الله تعالى المثل لذاته سبحانه لبيان قدرته وعظمته ، وللأصنام التى تعبد من دونه وهى لا تضر ولا تنفع ، ومثل من اشرك مع الله إلها آخر " مثل هؤلاء فى إشراكهم مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف ، وبين آخر مالك يتصرف فى أمره كيف يشاء مع

---

(١) د. على خليل مصطفى أبو العينين ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) قرآن كريم : سورة النحل ، الآيتان ٧٥، ٧٦ .

انهما سيان فى البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى ، فما الظن بـــرب العالمين حيث يشركون به أعجز المخلوقات " (١) وأضعفها على الإطلاق.

أما المثل الثانى فقد ضربه الله لنفسه ، وللوثن أو الصنم ، أو مـــا يعبد من دون الله " فالصنم الذى يعبد من دون الله بمنزلة رجل أبكـــم لا يعقل ولا ينطق ، بل هو أبكم القلب واللسان ،قد عـــدم المنطـــق القلبـــى واللسانى ، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شئ البته ، ومع هذا فأينمـــا أرسلته لا يأتيك بخير ، ولا يقضى لك حاجة ، والله سبحانه وتعالى قـــادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " (٢) فمن يســـتحق أن يعبـــد أيها الجاهلون الله تعالى القـــادر ، الخـــالق ، الـــرازق .. ، أم الإنســـان الضعيف ، العاجز ، الذى لا يقدر على شئ يذكر ؟ !

هكذا يضرب الله الأمثال للمشركين لعلهم يدركون الحقيقة ، فيفيقوا ويرجعوا عن عبادة غير الله الذى بيده الحياة والنشـــور والـــرزق وهـــو المتصرف فى كونه بإرادته كيف يشاء ..

هل يستوى الأخرس وذلك البليغ الفصيح المستنير بنور القـــرآن فإذا كان العاقل لا يسوى بين هذين الرجلين فكيف تمت التسوية بين صنم أو حجر ، وبين الله سبحانه وتعالى ، أليس هذا من الغباء والجهل وإهمال العقل وعدم إعماله فيما خلق من أجله ؟ ! .

إن الله تعالى ضرب المثلين لتقريب الحقيقة الكبرى التى غفل عنها الغافلون ، حقيقة أن الله تعـــالى " لـــيس كمثلـــه شـــئ وهـــو الســـميع البصير " (٣)

---

(١) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، القسم السابع – دار القـــرآن الكـــريم ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ،ص ٣٥ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٣) قرآن كريم : سورة الشورى ، الآية ١١.

"وانه سبحانه وتعالى : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (١)

واستمراراً لتأكيد القيم العلمية المعرفية التى تساعد على إدراك الحق بغية أن يتخلى المشركون عن عقيدتهم الباطلة وفى هذا المثل الذى يضربه الله لهم يتضمن الإقناع بالحجة المنطقية ، وبالدليل العقلى الذى لا ينكره عاقل ، وفحواه أن التوحيد هو أكرم لنفوسهم وأشرف ، وأن الله وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فما لهم لا يعقلون .

قال تعالى : " **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** " (٢)

لقد ضرب الله تعالى الأمثال للناس توضيحاً لهم لعلهم يتعظون ويعتبرون بهذه الأمثال الواضحة ويتربوا بها التربية الإسلامية المنشودة.

جاء هذا المثل يوضح للناس صورة من يشرك بالله غيره وصورة حالة من يعبد الله بلا شريك له ...

يضرب الله تعالى المثل برجل من المماليك اشترك فيه عدد من الملاك وكانوا سيئ الأخلاق ، متنازعين مختلفين ، إن أمره أحدهم بأمر يأمره الآخر بنقيضه ، فى هذه الحالة يكون المملوك متحيراً موزع القلب ، لا يدرى لأى مالك يتجه وأيهم يرضى .

وعلى الجانب الآخر تتمة المثل ، يبين حالة رجل لا يملكه إلا مالك وحيد ، حسن الخلق ، يقوم بخدمته فى إخلاص وتفان ويلقى من سيده الإحسان والشكر ، إن حال المملوكين مختلف ومتناقص وليس هناك مجال

---

(١) قرآن كريم : سورة الأنعام ، الآية ١٠٣ .

(٢) قرآن كريم . سورة الزمر ، الآية ٢٩ .

للمقارنة بينهما ، وهذه حال المشرك والموحد ... فحال المشرك غير مستقر على نهج ولا مستقيم على طريق ، ولا يملك أن يرضى أهواء مالكيه المتنازعين والمتعارضين بينما حال الموحد هو المستقر على منهج واحد واضح .

إن هذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك فى جميع الأحوال " فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذى يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى وبصيرة ... لأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق ومصدر واحد للنفع والضرر ، ومصدراً واحداً للمنح والمنع ، فتستقيم خطاه على هذا المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ... ويخدم سيداً واحداً ، يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه " (١)

ويستمر تأكيد القيم العلمية والمعرفية من خلال الأمثال القرآنية فيلجأ القرآن الكريم إلى أمثلة واقعية يعيشها الناس وهذا المثال واقعى من حياة الناس أنفسهم ، ليكون البرهان والحجة أقوى والأثر التربوى أبقى وأدوم فى نفوسهم .

قال تعالى : " ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون " (٢)

يقرب الله تعالى الصورة للمشركين ، بمثال حى من أنفسهم حتى يتأكد لهم كذب زعمهم وفساد عقولهم ، وضلال معتقدهم ، وبطلان

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، مرجع سابق ، ص ٣٠٤٩ .

(٢) قرآن كريم : سورة الروم ، الآية ٢٨ .

آلهتهم، فيقول لهم " هل يرضى أحدكم أن يكون عبده ومملوكه شريكاً لـــه فى ماله الذى رزقه الله تعالى ، فإذا لم يرض أحدكم لنفسه ذلك – وهو لن يرض بالطبع – فكيف ترضون لله شريكا له ، وهو فى الأصـــل مخلـــوق وعبد لله .... أنتم لا ترضون أن يكون عبيدكم شركاء لكم فـــى أمـــوالكم فكيف رضيتم لله شريكاً فى خلقه وملكه " ، (١) أيها المعاندون المكابرون .. أيها الجاهلون .

إن الله يبين للناس ويفصـــل الآيـــات ويضـــرب الأمثـــال لعلهـــم يستعملون عقولهم فى تدبر الآيات والأمثال التى ضربها الله لهم فيرجعوا عن شركهم ويدخلوا فى باب التوحيد بعد أن يتكشف لهم الحق .

إن هذا المثل واضح للعقول والأفهام ، وهو بسيط ليس محتاجـــاً لطول تفكير وهو حاسم وقاطع لا مجال للجدل فيه ، وفى نفـــس الوقـــت يرتكن إلى المنطق البسيط وإلى العقل الصحيح من الهوى والشهوة واثـــر البيئة والتقليد.

إن المنطق السليم يحتم على هؤلاء المشركين لو أنهـــم تـــدبروا ووعوا عن الله ، ونظروا إلى انفسهم واتعظوا بما ضـــرب الله لهـــم مـــن الآيات والعبر عن طريق الأمثال لحتم عليهم العقـــل الصـــحيح والمنطـــق السليم أن يوحدوا الله ولا يشركوا به غيره من مخلوقاته .

ومن القيم العلمية والمعرفية التى تؤكد عليها الأمثـــال القرآنيـــة وصولاً لإدراك الحق والسير على هدى الصراط المستقيم ، قيمة التعلـــيم والتى تظهر من خلال ما ضربه الله تعالى فى سورة البقرة .

---

(١) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير – الجزء الثانى عشر ، ص ١٢ .

" كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون " (١)

- **تعقيب**

العقل مناط التكليف وهو أداة العلم والمعرفة ، التى ينبغى أن تؤدى إلى الاختيار السليم ، بل وتعطى الإنسان القدرة على التمييز بين الخير والشر ، فيسلك طريق الخير ويتجنب طريق الشر ، ومن هنا يأتي دور التربية الإسلامية ،عن طريق الأمثال القرآنية ، إذ يقع العبء الكبير على الوالدين فى عملية التنشئة العلمية والمعرفية من خلال التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة المسلمة ، خاصة إذا علمنا أن القيم الإسلامية ذات أثر واضح فى تحقيق التوازن والاستقرار ، ولها أهميتها فى حياة الفرد والمجتمع ، فهى تعمل تحقيق تكيف الفرد مع مجتمعه وعلى قدر الإنسان للقيم المنظمة لحياته ، والضابطة لسلوكه على نفس القدر يكون فقدان التوازن : " إن انعدام القيم وجفاف نبعها و معينها إنما يقضى إلى التوتر والقلق (٢)

ويتجلى دور الوالدين فى تربية أطفالهم التربية العقلية القائمة على القيم العلمية والمعرفية عن طريق مساعدتهما لأطفالهما على حب العلم أهله واحترام العقل ، وحب القراءة والاطلاع ،من أجل تكوين مفاهيم صحيحة ، توصلهم فى النهاية إلى معرفة صحيحة ، وتكون أساساً لتكوين ذواتهم وشخصياتهم ، تكويناً علمياً وثقافياً .

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة . الآية ١٥١ .

(٢) عبد الرحيم الرفاعى بكرة : القيم الأخلاقية فى التربية الإسلامية من دافع مناهج المدرسة الابتدائية العامة ، رسالة ماجيستير ، غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، ١٩٨٠م ، ص ٧٣ .

• تستخدم الأمثال القرآنية فى تربية الطفل تربية عقلية قائمة على القيم العلمية والثقافية المتفقة مع المنهج الإسلامى ، والهدى القرآنى وعن طريق الأمثال القرآنية يمكن للوالدين فى الأسرة ـ أن يزودا أطفالهما بالعلم النافع والمفاهيم الإسلامية الصحيحة ، إذ تؤثر الأمثال فى العملية التربوية تأثيراً عميقاً فى جانب العواطف الإنسانية ، بل وتلعب دوراً مهماً فى التأثير على سلوك الأطفال والكبار فى الحياة اليومية ، من خلال الأحداث الجارية ، وذلك فيما لو استعملها الوالدان استعمالاً تربوياً ، يهدف إلى التأثير فى شخصية الأطفال تأثيراً إيجابيا تربوياً إسلاميا . إن القيم التى ينجح فى تشربيها الوالدان للأطفال تكون بمثابة القوة الحافظة لهم من الزلل والشطط ، إذ تشكل ضمير الإنسان ووجدانه وسلوكه ، كما تحقق للفرد الإحساس بالأمان إذ يستعين بها على مواجهة ضعفه والتحديات التى تواجهه فى حياته ، وتجعله قادراً على التعبير عن نفسه (١) .

• يستطيع الوالدان – عن طريق التنشئة الاجتماعية – فى الأسرة أن يربيا عقل الطفل المسلم عن طريق الاستشهاد بالأمثال القرآنية – ما أمكن ذلك فيعودا الطفل على التفكير السليم ، وإعمال العقل فى مواقف حياته اليومية التى يمر بها ، فبذلك يشب الطفل ولديه القدرة على التحليل والتفسير وإصدار الأحكام السليمة .

• يقع على الوالدين مسئولية تربية الطفل المسلم على الأسلوب العلمى فى التفكير – بحسب قدرته واستعداداته – ولينتبه الوالدان من التناقض فى أقوالهم وأفعالهم ، مثال ذلك أن يحافظ الوالدان على طاقة الطفل العقلية وعدم شغلها بالتفكير الخرافى وكل ما لا طائل من ورائه من أمور لا تتفق مع العقل الصحيح ولا النقل الصريح .

---

(١) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : مرجع سابق . ص ٣٦ .

على الوالدين أن يعيا أن طريق العلم الذى يأمر به الإسلام طريق واسع ولا يقتصر على العلوم الدينية فقط ، بل يتعداه إلى العلوم الحديثة والنفسية وعلوم التشريح والطب والزراعة والصيدلة ..... وكل هذه العلوم اللازمة للشخصية المسلمة وللمجتمع المسلم وان كل هذه العلوم تتضافر فى سبيل إسعاد الإنسان فى الدنيا ، ورضا الله عنه فى الآخرة شريطة أن تورث خشية الله وتكون متفقة مع ما جاء به الدين وليست متعارضة معه ، إذا كانت لذلك فإنها ستكون فى خدمة الإنسان والإنسانية .

إن النمو العقلى لا يتم إلا عن طريق العلم ، لذلك حث القرآن الكريم والسنة النبوية على العلم وطلبه وعلى احترام العلماء ومجالستهم وقد نزلت أول آية من القرآن الكريم " إقرأ " للحث على العلم على أن يكون هذا العلم باسم الله الخالق ، إن الأمر بالقراءة موجه لعقل الإنسان الذى هو بمثابة الوعاء القابل للنمو والزيادة والعلم والمعرفة والتزود بالخبرات .

وإذا كانت القراءة " باسم ربك الذى خلق " فإن التوجه السليم يؤدى إلى النتيجة المرغوبة ، وهى تكوين شخصية مسلمة صالحة لأن تعيش فى كل زمان ومكان على منهج الله الذى اختاره لخير أمة أخرجت للناس .

• الأمثال القرآنية تقرر مبدأ الحرية الإنسانية

الإنسان فى التصور الإسلامى – حر مختار – ولما كان الله تعالى قد وهب الإنسان العقل الذى هو مناط التكليف ، فقد شرفه الله تعالى بهذا العقل وكرمه فى قوله تعالى :- " ولقد كرمنا بنى أدم وحملناهم فى البـــر والبحر ورزقناهم من الطيبـــات وفضـــلناهم علـــى كثيـــر ممـــن خلقنـــا تفضيلا " (١)

إلا أن حرية الإنسان التى منحها الله له ، ليست حرية مطلقة ، أو حرية فوضوية إنها حرية مسئولة ، حرية مرتبطـــة بـــالمنهج الإســـلامى (إفعل ولا تفعل) حرية يرتفع بها المسلم إلى درجة الاستخلاف ، وبالتالى فإنها " فطرة فى طبيعته وجزء من إنسانيته ، وبها يصير إنسانا مسئولاً ، وبدونها يهبط إلى درجات أدنى بكثير من الحيوان ، فهو حر فى العقيـــدة التى يؤمن بها " (٢)

الحرية بهذا المعنى " شعاع داخلى يملأ جنبات النفس الإنسانية ، بارتباطها بالله ، فيرفعها هذا الارتباط بالله إلى درجة من السمو ، تكـــون بها اقدر على أن تفعل الخير ، وتقيم العدل ، وتحقق الخير " (٣)

وحين جاء الإسلام بالتوحيد جاء بالصورة الوحيدة للتحـــرر فـــى عالم الإنسان ومن هنا يبدو التوحيد هو الصورة المثلـــى للتحـــرر ، فمـــا يتحرر إنسان وهو يدين لأحد غير الله بشيء ما فى ذات نفســـه أو فـــى

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

(٢) دكتور على أحمد مدكور : مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٣) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية وقضايا أخرى ، الكتاب السابع – سلسلة الإسلام وتحديات العصر، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩م ، ص ٦٣ .

مجريات حياته ، أو في الأوضاع والقيم والقوانين والشرائع التى تصرف هذه الحياة ، ولا تحرر قلب الإنسان تعلق أو تطلع أو عبودية لغير الله، وفى حياته شريعة أو قيم أو موازين مستمدة من غير الله . (١)

الحرية الإنسانية بهذا المعنى حرية منضبطة ، ملتزمة ، مقيدة بقيد العقيدة الإسلامية ، وليست حرية مطلقة ، أو غير مسئولة ، فالحرية المطلقة للإنسان لا وجود لها ، وإلغاء الحرية فيه إلغاء لاهتمامات الإنسان، والإنسان ليس مجبراً على الإطلاق ، وليس حراً على الإطلاق وإنما تجمع أفعاله فى وسطية وفى توازن بين الجبر والاختيار فلا قيود على قدرة الله ، ولا إلغاء لحرية الإنسان . (٢)

أنه لا وجود لحرية بمعناها المطلق ، كما أنه لا حرية مطلقة كذلك لا حرية فى فراغ ، وإنما تستمد الحرية مضمونها ومغزاها من النظام والأصول والقواعد التى تنطلق منها (٣)وهذه القواعد والأصول إنما هى العقيدة الإسلامية وأخلاقياتها ومتطلباتها وأوامرها ونواهيها .

قال تعالى : " **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** " (٤)

هذه الآيات الأربع ، بالإضافة إلى آية " وهديناه النجدين " (٥) وكذلك آية " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً " (٦) هذه حالات

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣٩٢ .

(٢) دكتور مصطفى محمد متولى : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٣) الدكتور محمد منير مرسى : فلسفة التربية ، اتجاهاتها ومدارسها ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٤م ، ص ١٥٧.

(٤) قرآن كريم : سورة الشمس ، الآيات ٧: ١٠

(٥) قرآن كريم : سورة البلد ، الآية ١٠ .

(٦) قرآن كريم : سورة الإنسان ، الآية٣

مجتمعه تمثل قاعدة النظرية النفسية للإسلام ، وهـذه الآيـات مرتبطـة ومكملة للآيات التى تشير إلى إزدواج طبيعية الإنسـان ، وتقـرر تبعتـه الفردية ، وحريته الإنسانية ، كقول الله تعالى فى سورة المدثر " كل نفس بما كسبت رهينة " (١) وجميع الآيات تقرر أن الله تعالى يرتـب تصـرفه بالإنسان على واقع هذا الإنسان (٢)

إن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة والتكـوين (مـادة وروح) مزود بالاستعدادات المتساوية للخير والشر والهدى والضلال ، وإنما عمل الرسالات ، التوجيهات (التربية) إنما هو إيقاظ هذه الاستعدادات وشـحذها وتوجيهها الوجهة التى يريدها ويختارها .

لقد اكد الإسلام حرية الإنسان واختياره لفعله وهو لذلك محاسـب عليه ، ومسئول عن سلوكه الذى يصدر عنه ، وإذا كان الإسلام قد أمـر بالحرية فى الطبيعة الإنسانية فقد أقرها فى مجال العقيدة والفكر والاقتصاد والسياسة . (٣)

قال تعالى : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " (٤)

وقال تعالى : " فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين " (٥)

فى هذه الآيات تتمثل فردية التبعية فى ميزان الله تعـالى ، فيمـا يختص بالهدى والضلال ، وفى فردية التبعية والمسئولية الإنسانية تتمثل

---

(١) قرآن كريم : سورة المدثر ، الآية ٣٨

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٩١٧

(٣) دكتور محروس سيد مرسى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

(٤) قرآن كريم : سورة الكهف ، الآية ٢٩ ..

(٥) قرآن كريم : سورة النمل ، جزء من الآية٩٢.

كرامة هذا الإنسان . الذى سخر الله من أجله كل شئ . وفى كرامة الإنسان التى يضمنها له الإسلام ، لا يساق الإنسان إلى الإيمان سوق القطيع ، بل هو حر فى العقيدة يختار ما يجعله أهلاً للخلافة وسيداً للمخلوقات والكائنات جميعاً .

لقد منح الإسلام الحرية للإنسان ،هى أثمن وأغلى ما جاء به الإسلام، وإن التوحيد " قرين التحرير" ، وشهادة " لا إله إلا الله " هى إعلان عن ميلاد الإنسان الحر فى هذا الكون الذى يسجد لله وحده ، ويخشى الله وحده ، ومن هذا المنطلق فإن الاستبداد يصبح قرين الشرك ، لأنه يحيل الناس عبيداً لآلهة من البشر ، ويدفعهم إلى السجود لغير الله " (١)

لقد نعى الإسلام المقلدين وعاب عليهم ، والسبب فى ذلك أنهم عطلوا مداركهم وعقولهم ، ولم ينظروا و يتدبروا فيما خلق الله من حولهم ولم يتفكروا فى خلق السموات والأرض والفلك التى تجرى فى البحر ، وما سخر الله من الرياح والسحاب ، وجميع نعمه الظاهرة لنا والخافية عنا ، ما نعلمها وما لا نعلمها ، وما الله أعلم بها منا ، رأفة من الله بعباده ورحمة بهم .

قال تعالى : " ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنة " (٢)

وقال تعالى : " ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم " (٣)

---

(١) دكتور على احمد مدكور : مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٢) قرآن كريم : سورة لقمان ، الآية ٣٠ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحج . الآية ٦٥.

إن المقلدين الذين عطلوا نعمة العقل والتفكير وعطلوا نعمة الإدراك والاستقرار والتدبر والتفكر ، هؤلاء لم يتوصلوا إلى الإيمان الجازم واليقين الحقيقى لكونهم صموا عن سماع دعوة الحق وتدبر وفهم آيات الله ودلالاتها ، فهم مسلوبو الحرية والقدرة على السلوك والتصرف الحر ، فقد دعوا إلى الحرية ، دعوا إلى إعلان ميلاد جديد بشهادتهم " أن لا إله إلا الله " وسجودهم لله وحده لكنهم أبوا إلا أن يقلدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال والانحراف ، فقالوا لنا فى آبائنا القدوة والأسوة ، فلن نخرج عن سنتهم ولن نحيد عن معتقداتهم وما كانوا يعبدون .

هؤلاء المقلدون " مثلهم القرآن بالسوائم والبهائم تطيع صيحات راعيها من غير تفكير فى مدلولاتها الوضعية ، لا تفهم أوامره ، ولا تفقه نواهيه ولا تعقل صيحاته ونداءاته ، بل تسمع أصواتا منه اعتادت عليها، تدعى بصوت فتأتى وتقبل ، وتصرف بآخر فتدبر وتعود " (١)

ضرب الله تعالى بهؤلاء المثل فقال فى حقهم : " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لا يعقلون " (٢)

إن الآية الكريمة تندد بالتقليد الأعمى ، والنقل بلا إدراك أو تعقل أو فهم ، ومن ثم يرسم المثل القرآنى لهم صورة تليق بهم وبجمودهم على الباطل، إنها صورة البهيمة السائمة السارحة التى لا تعى ولا تفهم ما يقال لها ، إنها لا تسمع إلا صوت راعيها ولا تفقه ما يقول وما يعنى .

قال تعالى : " مثل الذ ين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين " (٣)

---

(١) محمود بن الشريف : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ١٧١.

(٣) قرآن كريم : سورة الجمعة ، الآية ٥

إن مثل الذين حملوا التوراة ، ولم يحملوها بمعنى لا يعملون بما جاء فيها من توجيهات وذلك ، باختيارهم وإرادتهم ، واتخذوا طريقاً غير طريق الهدى ، إن مثل الذين حملوا التوراة ولم ينتفعوا بالعمل بها - بإرادتهم وقصدهم مثل " كل الذين حملوا أمانة العقيدة ثم لم يحملوها ... أولئك كلهم كالحمار - يحمل أسفاراً ، وهم كثيرون كثيرون ، فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس ، إنما هى مسالة فقه وعمل بما فى الكتب " (١)

إن التشبيه هنا تشبيه تمثيلى ووجه الشبه هنا " منتزع من متعدد أى مثلهم فى عدم الانتفاع بالتوراة ، كمثل الحمار الذى يحمل على ظهره الكتب العظيمة ولا يكون له منها إلا التعب والعناء " (٢) وعدم الانتفاع .

لقد شبه الله تعالى من حمله كتابه ليؤمن به ، ويتدبر ما فيه ويعمل به ، ويدعو إليه ، ثم اختار طريقاً مخالفاً ، ولم يحمله أمانة ورسالة ومنهجاً ، بل حمله على ظهره فقط ، وقاس قراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا تفقه ولا اتباع أو تحكم وعمل بمقتضاه شبهه بالحمار - الذى يحمل من الكتب الشىء الكثير ، ولا يدرى ماذا يحمل ولا قيمة ما يحمل .

وهذا المثل " وإن كان قد ضرب لليهود ، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ، ولم يؤد حقه ، ولم يرعه حق رعايته " (٣) أى أنه اختار طريق الغى والعماية والضلالة على طريق الهدى والنور والصلاح والخير ولقد شاء الله تعالى أن يخلق الإنسان حراً

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٥٦٧ .

(٢) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ،القسم الثامن عشر ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ٥٤ .

(٣) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

مختاراً صالحاً لأن يفعل الخير ، ولذلك فإن اتجاه الإنسان إلـــى الظلـــم أو الضلال أو الشئ إنما هو خاضع للمشيئة الإلهية التى أعطت الإنسان حرية الاختيار وبالتالى ليكون الحساب عدلاً فى الآخرة (١) .

يضرب الله المثل بمن آتاه كتابه وعلمه العلم ، اختار طريقاً آخـــر بإرادته وحريته ، واتبع هواه وفضل سخط الله على رضاه .

قال تعالى : " واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلـــى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليـــه يلهـــث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا فاقصص القصـــص لعلهم يتفكرون " (٢)

إن من آثر الحياة الدنيا واختارها وفضلها على الآخرة ، مع علمه بها إنما مثله كالكلب فى حالة اللهث ، والمعنى أن الذى حاله ما ذكره الله تعالى من انسلاخه من آياته واتباعه هواه – على علم وباختيار وحرية – إنما هو كالكلب " منقطع الفؤاد ، لا فؤاد له ، إن تحمل عليـــه يلهـــث أو تتركه يلهث فهو مثل الذى يترك الهدى ، ويعنى بانقطاع فؤاده " انه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث ، وهكذا الذى انسلخ مـــن آيـــات الله " (٣)

هكذا تقرر الأمثال القرآنية مبدأ الحرية الإنسانية ، وان الإنســـان وهب القدرة على الاختيار ، لكنه لما حرم الانتفاع بهذه الحريـــة ، وبمـــا

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن ، الجزء السابع ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الأعراف ، الآيتان ١٧٥، ١٧٦ .

(٣) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

وهب من الإدراك والفهم والتحليل والاستنتاج واستخلاص العبر والعظات ، وذلك فى كونه أعرض ونأى واستعمل ملكاته وقدراته فى الضر وعقله فى الشر ، واختار لنفسه طريق الشيطان ، فظلم نفسه باختياره ، واتخاذه أولياء من دون الله ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً .

من خلال ما سبق يمكن أن يقوم الوالدان بعملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، على أن يربيا أطفالهما على الحرية ، وأيضاً على النظام ،شرط أن تكون هذه الحرية الإنسانية ، أو الحرية الفردية مرتبطة بحرية البيت وحرية الشارع وحرية المجتمع الذى يعيش فيه ولا تخرج عن قوانين وضوابط البيت الذى يعيش فيه ، والشارع والمجتمع المسلم .

فالطفل يختار ما يختار و لكن فى ضوء معايير الأسرة المسلمة .

والطفل يتكلم كيف يشاء ولكن فى ضوء توجيهات وتوجهات الأسرة المسلمة

والطفل يأكل ويلبس ويتحرك وينام ويصحو . لكن شرط أن تكون هذه النشاطات فى ضوء معايير الأسرة المسلمة.

وحسب قوانينها وأنظمتها الخاصة ، التى لاتخرج عن أنظمة المجتمع المحيط ، ولا تخرج عن أخلاقيات عقيدة التوحيد ومتطلباتها .

يمكن للطفل أن يقرأ أو يذاكر – بصوت مرتفع – أو بإضاءة معينة لكن بشرط ألا يكون هذا على حساب المقيمين معه فى الغرفة أو المرضى أو أصحاب الحاجات أو النائمين الذين يعيشون معه فى نفس الأسرة أو الذين يجاورنه فى المسكن .

يمكن للطفل أن يأكل ويشرب ، لا بأس ، بشرط أن يبدأ بـ " بسم الله " ويأكل بيمينه ويأكل مما يليه ، احتراماً للقوانين أو القواعد

الإسلامية، وأخذ بسنة الرسول (ﷺ) واحتراماً للآخرين الجالسين معه على مائدة الطعام احتراماً للطعام ، ومنعاً لنقل العدوى .. ومنعاً للتعدى على الغير وذلك من خلال تفضيل الطفل الطعام الذى أمام غيره ، وبذلك ينشأ طامعاً فيما أعطاه الله لغيره ، غير راض بنصيبه أو قدر الله له .

هذه بعض السلوكيات التى يأتى بها الطفل بحرية لكنه لا ينبغى أن يأتيها إلا فى ضوء قوانين الجماعة والأسرة والمجتمع المسلم ، بحسب ما نشأ عليه من ضوابط للسلوك الجماعى الإنسانى .

- **الأمثال القرآنية تربى الإرادة الإنسانية :**

تضرب الأمثال القرآنية بهدف تربية الإرادة الإنسانية وفق منهج إيجابى وذلك من خلال تربية المسلم عن طريق الأحداث والمواقف والتاريخ فيقيس الإنسان الأمور وينتقل من النظير إلى النظير فتتم العبرة بالوصول إلى الهدف السامى ، وهو تربية الشخصية المسلمة تربية متكاملة ، شاملة على هدى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : ((**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**)) . (١)

شبه الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، وجه الشبه بينهما الإثمار فالكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح ، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع ... وقد قيل إن " الكلمة الطيبة هى " شهادة أن لا إله إلا الله " فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، فكل عمل صالح مرضى لله ثمرة هذه الكلمة " . (٢)

لقد شبه الله تعالى شجرة التوحيد فى القلب بالشجرة المعطاءة ، الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع فى السماء علواً ، لا تزال تعطى ثمرتها كل حين بإذن الله تعالى .

---

(١) قرآن كريم : سورة إبراهيم ،الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

إن هذه الشجرة لا تزال تثمر الأعمال الصالحة كل وقت وحين " بحسب ثباتها فى القلب ، ومحبة القلب لها ، وإخلاصه فيها ، ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقوقها ، ومراعاتها حق رعايتها ، فمن رسخت هذه الكلمة فى قلبه بحقيقتها التى هى حقيقتها واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصيغة الله التى لا أحسن صبغة منها فعرف حقيقة الإلهية التى يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه ... " فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتى ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت " (١)

هكذا تسهم الأمثال القرآنية فى تربية الإنسان على السلوك الخير، فتهذب نزعاته وتقوى فيه الإرادة الخيرة ، والنزوع إلى السلوك الخير .

وفى الجانب الآخر يضرب الله المثل بالكلمة الخبيثة فيشبهها بالشجرة الخبيثة ، التى اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار ، فلا عرق ثابت ، ولا فرع عال ولا ثمرة ولا ظل ولا ساق قائم ، ولا أسفلها مغدق ولا أعلاها مونق ، ولا جنى لها ولا تعلو بل تُعلى .

قال تعالى : ((ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء " (٢)

إن الكلمة الخبيثة- كلمة الباطل كا لشجرة الخبيثة " قد تهيج وتتعالى وتتشابك ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى ، ولكنها تظل نافشة هشة ، وتظل جذورها فى التربة قريبة حتى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة إبراهيم ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧

لكأنها على وجه الأرض وماهى إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض ، فلا قرار لها ولا بقاء " (١)

• يضرب الله الأمثال لتحريك إرادة الإنسان إلى عمل الخير ، ولإبلاغهم أن الخير لا يموت ، مهما تكاثر عليه الشر ، وهذه الأمثال مصداقها واقع فى الحياة العملية ، ولكن الناس كثيرا ما ينسونه فى زحمة الحياة ودوامة العمل والسعى والتشاغل بأمور ساذجة . (٢)

صدق الله العظيم ، إذ يضرب الأمثال للناس للعبرة والعظة والانتباه بعد الغفلة ، والحركة بعد الثبات والموات .

إن هذه الأمثال القرآنية ليست مجرد أمثال تضرب ، ولا هى مجرد عزاء للطيبين ، وتشجيع ، إنما هى الدافع فى الحياة ملاحظ للعيان حتى وإن تأخر تحقيقه فى بعض الأحيان ، لكن المطلوب من المسلم أن يكون على ثقة تامة من ان قوانين الله ونواميسه فى الكون لا تتخلف ولا تتبدل، وإن تأخرت بعض الشىء – وهذا متروك لقدر الله وحكمته – إلا إنها واقعة ، محققة لا محالة ، فإن الخير بخير ، وإن الشر بشر ،ما دامت الأحياء ، وما دامت الحياة .

قال تعالى " يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون " (٣)

يقول الإمام ابن قيم الجوزية إن الخلق قسمان : موفق بالتثبيت ، ومخذول بترك التثبيت ، ومادة التثبيت أصله ومنشأه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد ، فيهما يثبت الله عبده ، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً " (٤)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٠٩٨

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٩٩ .

(٣) قرآن كريم : سورة إبراهيم ، جزء من الآية ٢٥.

(٤) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

إن المسلم لا يستغنى عن تثبيت الله له ، مادام حيا ، وان الله تعالى يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت ، وهم أحوج ما يكون إليه فى الدنيا والآخرة على حد سواء ، وقد قال تعالى لأكرم الخلق عليه محمد – صلى الله عليه وسلم – : " لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا " (١)

ويقول له أيضا " إذ يوحى ربك على الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا " (٢)

ويقول له أيضاً : وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك " (٣)

ويقول تعالى" ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا " (٤)

إن أثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً " والقول الثابت هو الحق والصدق وهو ضد القول الباطل وهو الكذب ، فالقول نوعان ، ثابت له حقيقة ، وباطل لا حقيقة له ، وأثبت القول كلمة التوحيد ، ولوازمها ، فهى أعظم ما يثبت الله بها عبده فى الدنيا والآخرة " (٥)

لقد ضرب الله المثال بهدف تحريك الإرادة الإنسانية نحو الخير وتبين لنا ذلك من خلال قوله تعالى :–

" مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " (٦)

---

(١) قرآن كريم : سورة الإسراء ، آية ٧٤ .

(٢) قرآن كريم : سورة الأنفال ، من آية١٢ .

(٣) قرآن كريم : سورة هود، جزء من الآية١٢٠

(٤) قرآن كريم : سورة النساء ، جزء من الآية ٦٦

(٥) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

(٦) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية٢٦١.

يشبه الله تعالى المنفق فى سبيله تعالى بالذى يبذر البذر فأنبتت البذرة الواحدة سبع سنابل ، اشتملت كل سنبله على مائة حبة . فصار الحب سبعمائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ويزيد من فضله فوق ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه واخلاصه ، وإحسانه ، ونفع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها . يشبه الله تعالى الإنفاق بالبذر ، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره يشبه من بذر ماله فى أرض زكية طيبة التربة فأنبتت الخير الوفير والحب الكثير .

قال تعالى : " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير " (١)

إن المنفق فى سبيل الله مثله كمثل جنة ، بمكان مرتفع قريب من الشمس والرياح ، حيث هناك تتربى الأشجار وتنمو أتم تربية وأفضل نمو، وينزل عليها المطر من السماء ، متتابع ، فنماها ورواها حتى أتت أكلها ضعفى أى مثلى ما يؤتيه غيرها ، ذلك بسبب الوابل ، فإن لم يتيسر لها هذا الوابل ، فطل ، أى مطر صغير القطر (٢) وهكذا يربى الله تعالى إرادة الإنسان ويدفعه إلى عمل الخير ، وذلك لكون هذا الخير عائداً عليه نفعه وعلى مجتمعه .

وفى الجانب المقابل يضرب الله المثل بمن ينفق ماله رياء وسمعه، فمثل " هذا المرائى فى نفقته التى ينفقها لغير الله لغير الله ينقطع عنه نفعها " فالرياء يمنع انعقادها سببا للثواب ، والمن والأذى يبطل

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

الثواب الذى كان سببا له ، فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل صفوان – وهو الحجر الأملس – عليه تراب وابل ، – وهو المطر الشديد فتركه صلدا لا شيء عليه " (١)

واستمراراً لنفس المعنى يضرب الله المثل لمن أنفق ماله فى غير طاعة الله تعالى ، يشبه الله تعالى ما ينفقه هؤلاء الصنف من الناس من أقوالهم فى المكارم والمفاخر ، وكسب الثناء وحسن الذكر ، لا يبتغون به وجه الله تعالى ، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله ، واتباع رسله بما جاءوا به من عند الله تعالى من المنهج القويم ، شبهه تعالى بالذى زرعه صاحبه يرجوا نفعه وخيره ، إلا أن ريحاً شديدة البرد أصابته فهلك .

قال تعالى : " إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون " (٢)

---

(١) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

(٢) قرآن كريم : سورة آل عمران ، الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

- **الأمثال القرآنية تقرر مبدأ المسئولية الفردية**

مبدأ الثواب والعقاب فى الإسلام ، مبدأ فردى ، يعنى أن كل فرد مسئول عن نتائج سلوكه الفردى ، وأن أحداً لا يغنى عن أحد ولا ينفع عند الله الحسب والنسب إذا لم يكن العمل صالحاً .

وها هو رسول الله محمد (ﷺ) يحذر أقرب المقربين إليه فاطمة بنت محمد فلذة كبده ، ويقول لها : " يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئاً " وهكذا يقرر مبدأ إسلامياً أصيلاً هو من أهم المبادئ ، ويرسى أساساً من أهم الأسس والدعائم التى قامت عليها التربية الإسلامية ، هذا المبدأ هو مبدأ المسئولية الفردية إذ لا يغنى أحد عن أحد ، ولا يحمل أحد وزر أحد .

إن أساس المسئولية الفردية السلوك الشخصى إن كان خيراً فجزاؤه خيراً وإن كان شر فجزاؤه من جنسه ، ولا مجال لمحاباة أو قرابة، أو مصاهرة ونسب .

وقال الله تعالى : " كل إمرىء بما كسب رهين " (١)

وقال تعالى :" كل نفس بما كسبت رهينة " (٢)

وقال تعالى : " ولا تزر وازرة وزر أخرى " (٣)

وقال تعالى : " من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد " (٤)

---

(١) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ٢١.

(٢) قرآن كريم : سورة المدثر ، الآية ٣٨.

(٣) قرآن كريم : سورة فاطر ، جزء من الآية ١٨.

(٤) قرآن كريم : سورة فصلت ، الآية ٤٦.

وقال تعالى : " من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، ثم إلى ربكم ترجعون " (١)

إن مبدأ المسئولية الفردية الذى يقرره الإسلام ، مبدأ عام للناس جميعاً يمكن أن نستوضحه من خلال سورة التحريم ، فقد ختمت السورة " بمثلين " مثل للزوجة الكافرة فى عصمة الرجل المؤمن ، ومثل للزوجة المؤمنة فى عصمة الرجل الكافر . وهذا يعنى أنه لا أحد يغنى عن أحد ، ولا ينفع أحد نسبه أو قرابته ، إذ المعول على العمل الصالح ، وليس على قرابة أو صلة أو نسب أو مصاهرة .

قال تعالى : " ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ... وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين " (٢)

لقد اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال " مثل للكفار – ومثلين للمؤمنين، فتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأنبيائه ، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين أحد من المؤمنين من لُحمة نسب أو وُصلة صهر أو سبب من الأسباب " (٣)

---

(١) قرآن كريم : سورة الجاثية ، الآية ١٥.

(٢) قرآن كريم : سورة التحريم . الآيات ١٠-١٢.

(٣) ابن قيم الجوزية – مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

أما مثل الكفار فمثل امرأة نوح وامرأة لوط - عليهما السلام - ووجه الشبه بين المرأتين أنهما " كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما " (١)

أما مثل المؤمنين . فالأول لامرأة فرعون ، ويعنى هذا المثل أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً ، إذا فارقه فى كفره وعمله ، رغم وجودهما تحت سقف واحد ، أو يجمعهما عش .

أما المثل الثانى للمؤمنين ، فمريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها والتى لا زوج لها ،

وهكذا نرى ثلاثة أصناف من النساء :

الأول : المرأة الكافرة التى لها صلة وعلاقة زوجية بالرجل الصالح .

الثانى : المرأة الصالحة التى لها صلة وعلاقة زوجية بالرجل الكافر .

الثالث : المرأة العزب التى لا صلة بينها وبين رجل صالح أو طالح .

إن المرأة الأولى لا تنفعها صلتها وعلاقاتها ، أما الثانية فلا تضرها صلتها وعلاقاتها ، بينما المرأة الثالثة ، لا يضرها عدم الوصلة وسببها (٢)

إن الأسباب كلها يوم القيامة لا قيمة لها ولا معول عليها فهى منقطعة إلا ما كان متصلاً منها بالله وحده على أيدى رسله ومعلمى خلقه، ولو أن وصلة ما نفعت مع عدم الإيمان لكانت الوصلة بين نوح وامرأته ، ولوط وامرأته ، لكن هذه الوصلة وهى صلة الزوجية لم تغن عن الله شيئاً، " وقيل ادخلا النار مع الداخلين " (٣) .

---

(١) قرآن كريم : سورة التحريم ، جزء من الآية ١٠ .

(٢) انظر ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٣) قرآن كريم : سورة التحريم ، جزء من الآية ١٠ .

ولو أن وصلة نفعت مع عدم الإيمان لكانت الوصلة بين نوح وابنه أو بين إبراهيم عليه السلام وأبيه آزر ، ولكن لما كانت الصلة فى غير رضاء الله ، وفى غير طاعته . حينئذ انقطع الرجاء فى كل من خالف أمر الله ، ولا ينفعه صلاح غيره من قريب أو بعيد ، ولو كان ما كان من الصلة فى الدنيا ، فإنه لا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة والزوجية ولم يغن نوح عن ابنه ولا إبراهيم عن أبيه ولا نوح أو لوط عن امرأتيهما .

قال تعالى : " لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم " (١)

وقال تعالى : " يوم لا تملك نفس لنفس شيئا " (٢)

وقال تعالى : " واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا " (٣)

وقال تعالى : " واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق " (٤)

وهكذا يبين المثل القرآنى أن مبدأ التبعة أو المسئولية الفردية مبدأ عام ، وأن كل فرد مسئول عن نفسه ، ولا يعفيه من التبعة والمسئولية أى قرابة أو صلة مهما كانت حتى ولو كان ابن نبى ، حتى ولو كانت زوجة نبى ، ولن يعفى زوجات النبى أنهن زوجات له ولن يضير زوجات الكفار أن أزواجهم كفار وهن مؤمنات .

وها هى ذى امرأة نوح عليه السلام ، وامرأة لوط عليه السلام " كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما " والمأثور فى خيانة امرأة نوح وامرأة لوط " أنها كانت خيانة فى الدعوة ، وليست خيانة

---

(١) قرآن كريم : سورة الممتحنة ، جزء من الآية ٣.

(٢) قرآن كريم : سورة الانفطار ، جزء من الآية ١٩.

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، جزء من الآية ٤٨.

(٤) قرآن كريم : سورة لقمان ، جزء من الآية ٣٣.

الفاحشة ، امراة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه ، وامـرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه وهى تعلم شأنهم مع ضيوفه " (١)

إنه لا كرامة أو شفاعة أو محاباة واستثناء فى أمر الكفر والإيمان، أمر الخيانة فى العقيدة حتى لأزواج الأنبياء أو أقرب الناس إليهم . فإن معصية الغير لا تضر المؤمن فى الآخرة وإن تضرر بها فى الدنيا .

لقد ضرب الله هذا المثل تنبيهاً على أنه لا يغنى فى الآخرة أحد عن أحد قريب كان أو نسيب أو حسيب أو مهما كانت قرابته به وصلته ، إذا فرق بينهما الدين ، فهذا نوح ولوط – عليهما السلام – ، لم يدفع الله عن زوجتيهما لما عصيتا ، مع كرامة نوح ولوط عليهما السلام ، على الله تعالى .

إن حقيقة فردية الجزاء التبعة مبدأ من المبادئ التربية الإسلامية، وهى فى نفس الوقت ذات أثر حاسم فى الشعور الأخلاقى ، وفى السلوك العملى ، وكون الفرد مجزى بعمله لا يؤاخذ بكسب غيره ، ولا يتخلص من كسبه ، يعد عاملاً قوياً فى يقظته ومحاسبته نفسه ، قبل أن يحاسبه غيره، مع التخلى عن كل أمل خادع فى أن ينفعه فرد آخر أيا كان موقعه وموقفه، أو مكانه ومكانته ، أو أن يحمل عنه شيئاً من أوزاره .

هذا المبدأ عامل مطمئن للفرد فلا ينزعج ولا يقلق ، مخافة أن يؤخذ بذنب غيره ، فرداً كان أو جماعة ، فيقنط من جدوى عمله الفردى الطيب ، ما دام قد أدى واجبه على الوجه الأكمل والمطلوب هذا المبدأ يقرر فى النهاية أن الله تعالى يحاسب الفرد على عمله ، ولا يحاسب الفرد على عمل غيره أو عمل مجتمعه أو عمل أسرته .. يحاسب كل فرد بحسب ما قدم إن خيراً فخير وإن شراً فشر فى حدود واجبه وبمقتضى ما تؤهله قدراته وإمكاناته .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، مرجع سابق ، ص ٣٦٢١ .

- **تعقيب**

الحرية – فى التصور الإسلامى – حرية منضبطة وليست حرية مطلقة ، وإذا كانت هذه الحرية هبة ربانية ومنحة إلهية فإنها أيضاً مناط تمييز الإنسان عن بقية مخلوقات الله جميعاً ، وهى أيضاً مرتبطة بالعقيدة الإسلامية وتعمل فى نطاقها .

ويمكن أن نسوق بعض الأمثلة على حرية الإنسان المنضبطة بقواعد وقوانين لصالح الفرد نفسه ، ولصالح الجماعة الإنسانية ، والمجتمع الإنسانى بصفة عامة فمثلاً هل يعد سير القطار على القضبان تقييداً لحرية القطار، أم أن القضبان شريط لحرية القطار فى حركته وسيره وإلا ما استطاع أن يسير على الأرض كما تسير السيارات . (١)

مثال آخر : سائق السيارة الذى يسير فى الشارع وعليه أن يتوقف عندما يرى إشارة المرور قد أضاءت اللون الأحمر ، وعليه أن يسير ويتحرك إذا رأى إشارة المرور قد أضاءت اللون الأخضر ... هل هذا يعد قيداً على حريته أم تنظيماً لسيره ، بحسب القواعد والقوانين المنظمة للمرور والتى من هدفها المحافظة على سلامة الأفراد الراكب والسائق والمارة . (٢)

من خلال المثالين السابقين نستطيع أن نفهم الحرية الإنسانية بمعناها الإيجابى ، على أنها الحرية الإنسانية القادرة على تحقيق الهدف المرجو فى ظل نظام معمول به يقره المجتمع الإنسانى ، وهذا النظام بدوره يؤيد الحاجة إلى الاعتماد المتبادل للأفراد فى المجال الاجتماعى ،

---

(١) دكتور محمد منير مرسى : فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق . ص ١٥٨

كل فى موقعه ، وكل فى مجاله ، وكل على قدر تفاعله ونشاطه وعطائـه للآخرين ودون ضرر ولا ضرار .

إن الله تعالى شاء أن يعطى للإنسان حرية الاختيار بـين الحـق والباطل بين الطاعة والمعصية ، فبادى ذى بد كـون أن الإنسـان يملـك القدرة على الاختيار وليس مقهوراً كالشمس والجبال والحيوان ، كون هذا أحدث فهذه مشيئة الله فى أن يعطيه حق الاختيار (١) .

لم يخلق الله تعالى الإنسان عبثاً ، كما أنه سبحانه وتعـالى ، لـم يتركه سدى ، فهذا المخلوق – الإنسان – الذى كرمه الله تعالى وميزه بما أودعه فيه من القدرات والاستعدادات والمواهب إنما خلقه الله على هـذا النحو كى تسند إليه مهمة عظيمة ورسالة جليلة فى الأرض ، وهى حمل الأمانة ، والاستخلاف على شريعة الله تعالى ، وإقامة حدود الله بحسـب منهج الله الذى شرعه . (٢)

وقد جعل الله تعالى حياة الإنسـان مجـالاً وميـدانا ولاختبـاره ، واختياره واستجابته لهذه الأمانة ، التى كلفه الله بحملها ، وهى طاعتـه وتحقيق شريعته ، وعبوديته الكاملة ، وبالتالى تنظيم حياته وأموره كلها ، على هديها وفى ضوئها ،

لقد فطر الله تعالى الإنسان على الاسـتعداد للـتعلم ، والاسـتعداد لتوحيد الله تعالى وعبادته وحمل الأمانة ، ليكون خليفة على منهج الله فى الأرض ولذا اقتضت مسئولية الإنسان أن يكون حراً فى اختياره الاختيارات التى سيحاسب عليها ...

---

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن . الجزء السابع . مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٢) عبد الرحمن النحلاوى : التربية بالآيات ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر المعاصر ، دمشق . سورة ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٢٨٠ .

• الأمثال القرآنية تؤكد القيم المادية (الاقتصادية)

دعى القرآن الكريم إلى تأكيد القيم المادية (الاقتصادية) ، وحث المسلم على العمل فى هديها ، والتمسك بها والتنشـئة الاجتماعيـة فـى ضوئها، وهذه القيم المادية متعددة وكثيرة ، منها على سبيل المثـال مـا يتعلق بالمحافظة على النفس البشرية ووجودها المادى ، ومنها ما يتعلق بضرورة توفير الراحة المناسبة للجسم بعد التعب والمشقة ، ومنهـا مـا يتعلق بالحركة والنشاط والعمل والسعى من أجل تأمين الحياة عن طريـق الكسب والاسترزاق، ومنها ما يتعلق بالطعام والشـراب وآداب المائـدة ، ومنها ما يتعلق باتخاذ السكن المناسب ، ومنها ما يتعلق بالبيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان ومحاولة الحفاظ عليها وحمايتها ، وكـل هـذه القـيم المادية ترتبط ارتباطاً عنصرياً بسلامة الإنسان وبخيره ، وجميعها تتعلـق بالمال والاقتصاد وقيمته فى حياة الأفراد .

ولا شك أن القيم المادية (الاقتصادية) التى دعى إليهـا القـرآن الكريم ، ورغب فيها هى تلك القيم التى " تتعلق بالإطـار المـادى لحيـاة الإنسان ، وتتصل بالعناصر المساعدة على وجوده المادى " (١)

ومن القيم المادية الاقتصادية ما يلى :-

• قيمة الإنفاق

ضرب الله المثل القرآنى للناس فيمـا يتعلـق بـالقيم الماديـة ، ليرغبهم فى قيمة الإنفاق ، ليقبل الناس على العمل ، وعلى التجارة مـع الله تعالى ، ابتغاء مرضاته ، ومن ثم جعل هذا الإنفـاق فـى سـبيل الله

---

(١) دكتور علي خليل مصطفى أبو العينين ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

تعالى، وتأكيدا للقيم المادية التى تتوافق مع طبيعة المجتمع المسلم ، وتعمل على حفظه وبقائه واستمراره ، قال الله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم " [1]

هذا مثل قرآنى يضربه الله تعالى بهدف تضعيف الثواب من الله تعالى لمن أنفق فى سبيله ابتغاء مرضاته ، وإن الحسنة تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله بفضله يضاعف لمن يشاء .. وهو سبحانه واسع عليم ، ولا شك أن هذا المثل أبلغ فى النفوس من ذكر عدد السبعمائة . فإن فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها كمن ينمى الزرع لمن بذره فى الأرض الطيبة . [2]

قال تعالى : " ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل حبة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير " [3]

يضرب الله هذا المثل القرآنى ، فيشبه المؤمنين الذين ينفقون من أموالهم الحلال ، مبتغين بذلك مرضاة الله عنهم ، وفى نفس الوقت هم متحققون ومتأكدون أن الله تعالى سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء ، هؤلاء المؤمنين المنفقون مثلهم مثل الربوة ، وهو مكان مرتفع عن سطح الأرض وتجرى فيه الأنهار وأصابها مطر شديد فآتت أكلها ضعفين بالقياس بغيرها من الجنان ، وكذلك يكون عمل المؤمن لا يبور أبداً ، بل يتقبله الله ويكثره وينميه بقدرته وحكمته ومشيئته تعالى . [4]

---

(١) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٤.

(٣) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٥ .

(٤) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الأول ، ص ٣٢٦.

لقد من الله على عباده بأن جعل الإنفاق واحداً من الأعمال الصالحة التى يتقرب المسلم بها إلى الله تعالى ، لينال رضاه ، وأيضاً لينال جنته وما أعده له من قرة عين ، والمسلم حين يتناول الأمثال القرآنية ، تتوق نفسه إلى أهمية الحصول على طاعة الله ورضوانه ، وقد جعل الإسلام الإنفاق سهلاً على النفوس محبباً إليها ، والخسارة فيه تهون لدى النفوس المؤمنة . (١)

قال تعالى : " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من الثمرات أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (٢)

من ذا الذى يود أن تكون له مثل هذه الجنة من النخيل والأعناب ، ثم يرسل عليها المن والأذى يمحقها محقاً ، كما يمحق الجنة الإعصار فيه نار ، إنه لا أحد ، ومن ذا الذى يود هذا ومن ذا الذى يفكر فى ذلك المصير ثم لا يتقيه . (٣)

من أجل هذا يضرب الله الأمثال للناس ويبين لهم عاقبة البخل وعاقبة محق الصدقات فى وقت لا يملك صاحبها معينا ولا مساعدة ولا قوة تقيه ذلك .

---

(١) دكتور عبد الله عبد المحسن الطريقى : الاقتصاد الإسلامى ، أسس ومبادئ وأهداف ، الطبعة الثالثة ، الرياض ، ١٤١٤هـ ، ص ١٠٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٦ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص ٣١٠ .

من أجل ذلك قال الله تعالى : " كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (١) أى تعتبرون وتفهمون الأمثال المضروبة ، والمعانى المقصودة ، وتعملوا بمقتضاها وتتنبهوا بها ، وتنزلوها على المراد الذى أراده الله تعالى منها ، قال تعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " (٢)

أى وما تنتفع بالعظة والعبرة والأمثال المضروبة إلا العالمون حقاً ألو الألباب الواعية والعقول الصحيحة والقلوب السليمة .

إن المال فى التصور الإسلامى مال الله تعالى ، وله الحق سبحانه وتعالى أن يحدد تصرفات الناس فيه وفق ما يمليه بما يصلح حالهم ويصلح لشئونهم والإنسان مستخلف على مال الله ، والإسلام فى سياسته للمال يسير على هدى نظريته العامة التى تهدف إلى تحقيق العبودية لله وحده ،بأن يخضع تداول المال لشرع الله ، بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة فى آن واحد . (٣)

ويقرر الإسلام حق الملكية الفردية للمال ، بوسائله المشروعة ، ولا يدع هذا الحق بلا قيود ، بل يقرر مبادئ أخرى تجعل المال أداة لتحقيق مصلحة الجماعة بنفس الدرجة التى يتحقق بها مصلحة الفرد المالك . (٤)

---

(١) قرآن كريم : سورة الحشر ، الآية ٢١ .

(٢) قرآن كريم : سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .

(٣) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الإسلام . الطبعة السادسة . القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ١٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

ورغم أن الإسلام يشيد بالقيم المعنوية ، ويرفع من قدرها ، فإنه في الوقت ذاته لا يغفل أو يتغافل أثر القيم الاقتصادية ، ولا يكلف الناس فوق طاقتهم البشرية ، مهما تسامى بهم عن الضرورات الأرضية ، لذلك كره أن يكون المال دولة بين الأغنياء فحسب بل جعل هذا أصلاً من أصول نظريته في سياسة المال . وأوجب رد بعض هذا المال للفقراء ليكون لهم مورد رزق، مملوك لهم ويضمن لهم الكرامة الإنسانية ، ويجعلهم قادرين على القيام بأمانة هذا الدين الحنيف . (١) .

إن الإنفاق يربى في النفوس قيمة التعاون ، ويجعلها تتفاعل مع حياة المسلم ، وتنطلق آفاق هذا التعاون في مجال أوسع في الحياة الاقتصادية ، ولقد رغب القرآن الكريم على أهمية هذا التعاون في قوله تعالى:" وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " (٢)

ترغب الأمثال القرآنية المسلم في الإنفاق بكل صوره وفي جميع مجالات البر والخير ، وإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب الإخلاص والتثبيت، وإخراج المال بقلب منشرح ، ونفس راضية مطمئنة لما عند الله من الثواب والأجر العظيم .

ولقد شبه الله تعالى الإنفاق في سبيله وفي كل أوجه الخير والمنفعة بالبذر ، فالمنفق ماله الطيب ابتغاء مرضاة الله ، لا لغيره كالباذر ماله في أرض طيبة زكية . فعمله بحسب بذره وطيب أرضه ، وتعاهد البذر بالسقى والرعاية .... (٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٢) قرآن كريم : سورة المائدة ، الآية ٢ .

(٣) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

إن القرآن الكريم شديد الحرص على تربية النفوس المؤمنة على القيم المادية وإن الله تعالى يعلم تكالب المتكالبين على جمع المال ، ويعلم أيضاً شح بعض الأنفس ، وتعتبرها فى البذل والعطاء ، لذا فقد قدم القرآن الكريم العلاج الناجع للنفس البشرية تبلور فى " أن النفقة فى اوجه الخير والبر والصالح العام تتضاعف يوم القيامة ، أضعافاً كثيرة ، وأن الإنفاق فى سبيل الله هو قرض حسن لربها الغنى الكريم المحسن ، يكافئ عليه فى الدنيا ويؤديه أضعافاً مضاعفة يوم القيامة، فاستل بذلك من النفوس حرصها ، وطمأنها عندما ضاعف الأجر الأخروى ، واجزل لها العطاء يوم الجزاء ودفعها بذلك العوض المغرى والمجزى إلى البذل بسماحة وطيب خاطر وأريحية " [1]

إن دائرة الإنفاق فى التصور الإسلامى تتسع لما تهفو غليه القلوب العامرة بالإيمان من التطوع بالخير والتوسع فى إسداء المعروف والتسابق فى الخيرات " وقد رغب الإسلام فى ذلك ترغيباً يشرح صدر الكريم ، ويدفع البخيل إلى العطاء فالله تعالى يتقبل الصدقة بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربى أحدنا مهرة حتى تصير الثمرة مثل جبل أحد " [2]

وهذا ما صوره لنا المثل القرآنى الذى سبق والذى يرغب فى الإنفاق المحمود طاعة لله وتقرباً إليه وعباده يرضاها .

• وإذا كان الإسلام يرغب المسلم فى الإنفاق ، ويجعل الإنفاق فى سبيل الله وابتغاء مرضاته ، فى كل مجالات الخير ووجوهه أمراً مستحباً

---

(١) محمود بن الشريف : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٢) دكتور يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ، الطبعة التاسعة عشر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٨م ، ص ٢٦٩ .

وبابا مفتوحا يلجه كل مالك ، وليس وقفاً على فرد معين ، فإنــه يكــرر الدعوة إليه مرات ومرات ، لأن الهدف هو تربية المسلم وتهذيب نفسه .

ولكى يكون الإنفاق مقبولاً يجب أن يكون لوجه الله وحده ولــيس لأحد سواه ، أى لا يشوبه رياء ولا سمعه إلا رد عليه عمله ، فالمرائى " فى نفقته الذى ينفق لغير الله ، ينقطع عنه نفعها ، وهو أحوج ما يكــون إليه " (١)

وكما أن الرياء يبطل الصدقات ويمنع وصولها إلى صاحبها فكذلك المن والأذى يمنع وصول الثواب إلى المتصدق ، ومثل صاحب الصدقات ، وبطلان عمله كمثل حجر أملس عليه تراب وأصابه مطر شديد فتركه صلداً لا شئ عليه ، ويضرب الله المثل فى ذلك ليقرب الصورة المعنويــة إلــى الأذهان، وينفر منها بتمثيلها بالصورة الحسية ، قــال تعــالى : " يأيهــا الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفــق مالــه رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كصفوان عليــه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ مما كســبوا والله لا يهدى القوم الكافرين " (٢)

إن الرياء مرض قلبى يدل على خلل فى العقيدة يؤدى إلى انهيــار الشخصية وجبن الأخلاق ونقص الدين ، إنه طريق غيــر ســوى يســلكه صاحبه ليخدع به ويدفع عنه ذماً ويجلب له نفعاً وكسباً حتــى وإن كــان وقتياً أو مزيفا، وأما المن فهو شعور خسيس ، يشعر صاحبه بالاستعلاء الخادع ولفت أنظار الآخرين إليه ، والمن يجعل الصدقة أذى " للواهب بما يثير فى نفسه من كبر وخيلاء ورغبة فى رؤية أخيه ذليلاً له كسيراً لديه، وبما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد عن الله ... وأذى للآخذ بما يثير فى نفسه من انكسار وانهزام ومن رد فعل بالحقد والانتقام " (٣)

---

(١) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق . ص ١٨٥.

(٢) قرآن كريم : سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الأول . ص ٣٠٧ .

وما أراد الإسلام لأتباعه إلا أن يكونوا أعزة كراما ، وما أراد لهم الهوان وما أراد بالإنفاق فى سبيل الله إلا تهذيب النفس وتربيتها على العطاء وارتباط الغنى بالفقير برباط العقيدة فى الله تعالى ، وتذكير للغنى بنعم الله عليه ... وفى النهاية أراد الإسلام إقامة التكافل الاجتماعى والإنسانى بين أفراده جميعا .

- **تعقيب :**

يشجع القرآن الكريم - دستور المسلمين - كل أساليب تحصيل الثروة التى تحقق خيراً للمسلم وصالح مجتمعه ، ويدعو إلى الوسطية والاعتدال والتوازن فى استخدامها وإنفاقها ، وينهى عن الإسراف ، حتى جعل الاعتدال فى الإنفاق خاصية من خصائص عباد الرحمن ، قال تعالى : " الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " (١)

وإذا كان العمل يعد عنصراً من عناصر الإنتاج فى الاقتصاد ، فقد شجع الإسلام على العمل بكل أنواعه ، اليدوى والعقلى ، وأباح للفرد التملك والربح والدخول فى مشروعات اقتصادية ، شريطة الالتزام بالضوابط التى تستهدف صالح الفرد وصلاح الجماعة فى نفس الوقت (٢)

وقد عالج الإسلام ظاهرة الفقر والعوز بأسلوب لم تصل إليه فلسفة أو أيدلوجية وضعية عالجها عن طريق الزكاة - وهى فرض واجب على كل مسلم قادر ، لا تخضع الزكاة لمشيئة المالك ، ولا تحمل صفة الإحسان أو المنة، وإنما هى واجب يخرجها المسلم القادر كل عام طلباً لمرضاة الله تعالى ، وسداً لحاجة المحتاجين وإلى جانب الزكاة هناك واجبات التكافل الاجتماعى من نفقات وكفارات وصدقات وديات وأوقاف ووصايا وكلها تدخل فى حل مشكلة الاحتياج والفقر فى المجتمع المسلم .

---

(١) قرآن كريم : سورة الفرقان ، الآية ٦٧ .

(٢) انظر : الدكتور نبيل السمالوطى : بناء المجتمع الإسلامى ، دراسة فى علم الاجتماع الإسلامى ، جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م، ص ١٧٢

• الأمثال القرآنية ترسخ مبادئ التربية الأمنية

الأمن هو طمأنينة النفس وعدم خوفها أو قلقها ، وينقسم الأمن إلى قسمين هما : ١- أمن فى الدنيا . ٢- أمن فى الآخرة

• النوع الأول : أمن فى الدنيا :

وهو الاطمئنان على ضرورات الحياة، وما يكملها بحيث لا يتعدى أحد على تلك الضرورات والمكملات " (١)

ولكن هذا النوع محسوس ومادى ونتائجه مدركة حسياً ، ومنظورة وقد حرص عليه جميع الأحياء ، ولكنه عاجل غير آجل ، والنفس الإنسانية مولعة بالعاجل ، إلا ما رحم ربى .

هذا النوع من الأمن هو الأمن فى الدنيا ، أو الأمن العاجل ، الذى يمتن به على الأمم ، وهو لا يدوم مع كفران النعم ، وعدم الاعتراف بها بشكرها وردها إلى حسيبها ومقدرها وهو الله تعالى .

ويضرب الله المثل القرآنى لترسيخ مبادئ التربية الأمنية وذلك من خلال قصة أصحاب " قرية " كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فلم تحافظ على هذه النعم فانتقم الله منها وأذاقها ما تستحق من جزاء .

قال تعالى : " **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون** " (٢)

---

(١) الدكتور عبد الله بن أحمد قادرى : أثر التربية الإسلامية فى أمن المجتمع الإسلامى، جدة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٧.

(٢) قرآن كريم : سورة النحل ، الآيتان ١١٢، ١١٣ .

إن الأمن مرتبط بالإيمان ، وهكذا يضرب الله المثل بالقرية التــى كانت آمنة بإيمانها كان يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فلما كفرت بأنعم الله وكذبت رسوله أخذ قومها العذاب وهم ظالمون .... لقــد أذاقهــا الله لباس الجوع والخوف ، فالجوع والخوف مرتبطان بكفران الــنعم وعــدم الإيمان بالحق .

وفى ظل هذا المثل الذى تخايل فيه النعمة والرزق ، كما يخايــل فيه المنع والحرمان ، يأمرهم بالأكل مما أحل لهم من الطيبات وشــكر الله على نعمته ، وإن كانوا يريدون أن يستقيموا على الإيمان الحــق بــالله ، وأن يخلصوا له العبودية خالصة من الشرك " (١)

لقد ضرب الله هذا المثل لأهل مكة وغيرهم ، يوم أنعــم علــيهم فأبطرتهم النعمة ، فعصوا وتمردوا ، هنالك بدل الله نعمتهم بنعمة وسلبهم الأمن والاطمئنان بسبب كفرهم وعصيانهم وأذاقهم الآم الجوع والحرمــان والخوف بدلاً من الأمن .

إن رسول الله محمداً (ﷺ) هو النعمة التى أنعم الله بها على أهل مكة ، فلما كفروا به وبالغوا فى إيذائه ، عذبهم بالقحط والجوع والخوف " لقد جاءهم محمد بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة وهو رسول مــنهم يعرفون أصله ونسبه فلم يصدقوه ولم يؤمنوا برسالته " (٢)

عندما أصر مشركو قريش على الكفر والجحــود ، ومحاربــة الله تعالى، وإيذاء الرسول (ﷺ) ، أبدلهم بأمنهم خوفــا ، وبغنــاهم فقــراً ،

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢١٩٩ .

(٢) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، الجزء السابع ، مرجع سابق ، ص ٤٥.

وبشبعهم جوعا . وسلط عليهم رسوله (ﷺ) والمؤمنين ، فأذلهم فى بدر وغيرها وفتح الله على المؤمنين مكة فدخلوها آمنين وانتصروا على عدوهم الذين أيقنوا ألا أمن ولا طمأنينة إلا بهدى الله فاستجابوا له فعاد الأمن والعزة إليهم وأصبحوا سادة الدنيا بذلك " (١) إن هذا المثل القرآنى أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ، ومن دخلها كان آمنا لا يخاف .... كان يأتيها رزقها هنيئاً سهلاً، بلا مشقة ، فلما كفرت بأنعم الله والآئه عليها وأعظم نعمة امتنها الله عليها بعثه محمد (ﷺ) ، فلما كفروا بالآلاء والنعم بدلهم الله تعالى بحالهم الأولية خلافهما ونقيضهما ، وألبسهم وأذاقهم الجوع ، بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شئ ، ويأتيهم الرزق سهلاً هنيئاً ، وبدلهم بأمنهم خوفاً ، من رسول الله (ﷺ) وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه ، وجعل كل مالهم فى دمار حتى فتحها الله على يد رسوله (ﷺ) . (٢)

• أما النوع الثانى :-فهو الأمن فى الآخرة ، وأهم أسبابه هو الالتزام الكامل بالمنهج الإلهى فى العبادة والتشريع والسلوك والتربية والحياة كلها ، وهذا النوع سبب من أسباب الأمن الدنيوى فى نفس الوقت، إذ ليس فى الإسلام منهجان ولا طريقان وإنما هو منهج واحد وطريق واحد، إذا سلكه المسلم أمن فى الدنيا فسعد بها ، وأمن فى الآخرة ونجا من عذاب الله تعالى ونال رضوانه ، إن المنهج الإسلامى هو منهج عقيدة التوحيد ، وما تتطلبها هذه العقيدة من قول وعمل .

---

(١) الدكتور عبد الله بن أحمد قادرى : مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . الجزء الثانى ، مرجع سابق ، ص ٦١.

قال تعالى : " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "(١)

لقد وعد الله سبحانه وتعالى ورسوله (ﷺ) أن يجعل أمته خلفاء فى الأرض وأئمة للناس ، ويجعل صلاح البلاد بهم ، كما وعد بأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وقد حقق الله سبحانه وتعالى ذلك وقد تحقق هذا الوعد من الله تعالى (٢) .

يقول أبو الأعلى المودودى : " هذا وعد الله تعالى للمسلمين بأنه سيجعلهم خلفاء الأرض أى أئمة الناس وقادتهم " ولكن " ليس الخطاب فيه لكل من ينتمى إلى الإسلام ولو اسماً ، بل إنما هو للمسلمين الذين هم صادقون فى إيمانهم وصالحون باعتبار أخلاقهم وأعمالهم ومتبعون لدين الله الذى قد ارتضاه لهم وملتزمون لعبادته وعبوديته وحده وغير مشركين به شيئا " (٣)

وهكذا نرى أن التربية الأمنية التى رسمتها الأمثال القرآنية مرتبطة بالتربية الإيمانية الحقة ، وأن الأمن فى الدنيا مرتبط بتنفيذ منهج الله واتباع سننه وقوانينه التى لاتتغير ولا تتخلف ، وهذا الأمن فى الدنيا يتجلى فى تمكين الله تعالى للمسلم وجعله خليفة على منهجه ودينه ، لأنه الإنسان النموذج الإنسان الكامل الذى اكتملت فيه البشرية ، فصار نموذجاً وصار خليفة .

---

(١) قرآن كريم : سورة النور، الآية ٥٥ .

(٢) د. أحمد عمر هاشم : الأمن فى الإسلام ، الأسكندرية ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م ، ص ١٨ .

(٣) أبو الأعلى المودودى ، مرجع سابق ، ص ٢١٥.

هذا الأمن الدنيوى يوصل للأمن الأخروى ، الأمن من عـذاب الله ومن غضبه ، والفوز بالجنة وما أعدد الله لعباده الطائعين الذين اخلصـوا دينهم لله والذين لم يشركوا معه فى العبادة غيره فكان مآلهم ومصـيرهم أن قال لهم : " إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين " (١) . وقال تعالى : " ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود " (٢)

إن التمكين فى الأرض هبة من الله لعباده الذين اصـطفاهم مـن المؤمنين والأمن والاستقرار النفسى الذى يترتب على هذا التمكين والقيادة والسيادة لكى يستمر ، لابد له من شروط وأسباب وتكاليف وأعباء شـرط تواجده والحصول عليه هو نصر الله تعالى فى دينه وشـرعه ومنهاجـه الذى ارتضاه لعباده المؤمنين ، والشرط الثانى يتعلق باستمرار التمكـين فلكى يستمر لابد من توثيق الصلة بالله وتحقيق المنهج الإلهى فى الحياة .

قال تعالى : " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور " (٣)

هذه شروط النصر ، وهذه ضمانات اسـتمرار التربيـة الأمنيـة الإسلامية ، وقد جمعتها الآية الكريمة .

إن عبادة الله الحقة ، وتوثيق الصلة به ، وتطبيق شرعه ومنهاجه فى أمور حياة الفرد والجماعة والأمة ، من إقامة الصلاة وإيتـاء الزكـاة وآداء حق المال والانتصار على النفس وتطهيرها من الحـرص والبخـل والشح والشيطان ، والتكامل الاجتماعى والإنسانى والدعوة إلى الإصـلاح

---

(١) قرآن كريم : سورة الحجر ، الآيتان٤٥، ٤٦ .

(٢) قرآن كريم : سورة ق ، الآية ٣٤ .

(٣) قرآن كريم : سورة الحج ، الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

بين الناس، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..... كل هذه مقـدمات لنتيجة هى التمكين فى الأرض والأمن الذى ليس بعده خـوف ، والنصـر الذى ليس بعده هزيمة .

لقد وعد الله تعالى الذين آمنوا به ، ووحدوه وعبدوه ، وعملـوا الصالحات ، من أمة محمد (ﷺ) أن يستخلفهم فى الأرض ليعمروهـا أى يجعلهم خلفاء فى الأرض جيلاً بعد جيل ، وأن يمكن لهـم ديـنهم الـذى ارتضى لهم ، وأن يبدلهم بعد خوفهم أمنا ، ذلك وعد الله تعالى ووعد الله حق وصدق ولن يخلف الله وعداً إذا وعد ، فما حقيقة ذلك الإيمان ؟ ومـا حقيقة هذا الاستخلاف ؟ إنه " الإيمان الذى يستغرق الإنسان كله ، بخواطر نفسه وخلجات قلبه وأشواق روحه وميول فطرته ، وحركـات جسـمه ، ولفتات جوارحه وسلوكه مع ربه فى أهله ومع الناس جميعاً ، يتوجه بهذا كله إلى الله " (١) .

ويتمثل هذا السلوك وهذه الحياة الإيمانية ، وهذا النشاط المثـالى فى قول الله تبارك وتعالى " يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً "

إن أروع صور الأمن والأمان التى هيأهـا الله سـبحانه وتعـالى للمؤمنين المخلصين فى أعمالهم وقد مكـن للنـاس حرمـاً آمنـا فـى مكة المكرمة ، ولكن هناك من تذرع بأسـباب واهيـة ضـعيفة وتعللـوا بأسباب وحجج لا أساس لها من الصحة ، احتجوا بأنهم يخـافون علـى أنفسهم ولا يأمنون من أعدائهم إنهم يخشون إن اتبعوا رسـول الله (ﷺ) أن يـتخطفهم المشـركون المجـاورون لهـم ، فـرد الله تعـالى ضـد

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٢٥٢٨ .

الزعم [١] قال تعالى : " وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يُجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون " [٢] .

الأمثال القرآنية تربى المسلم التربية الأمنية ، التى تعتمد على الاطمئنان النفسى واليقين القلبى ، الذى يتحقق بموجب الإيمان بحصاد التربية الإسلامية الصحيحة ومناهجها المشتقة من مصادرها الحقيقية ، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

إن الأمن فى التصور الإسلامى هو أهم بعد من أبعاد الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وما يترتب على هذا الإيمان من إيمان باليوم الآخر ومن تقوى الله فى كل ما يصدر عن الإنسان من قول أوعمل . [٣] .

إن الإيمان بالله تعالى وحده هو الذى " يزرع فى النفس (سكينةً)، وفى المجتمع (مرحمة) وفى الحياة كلها (بركة) ، والذين يتصورون الإيمان بالله وتقواه مسألة تعبدية بحته ، لا صلة لها بواقع الناس ، لا يعرفون الإيمان ، ولا يعرفون الحياة " [٤] .

التربية الأمنية نظام الحياة اليومية المعاشة فى ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة ، والتى من شأنها أن تحقق أمن الإنسان ، وأنه لا

---

(١) د. أحمد عمر هاشم : مرجع سابق ، ص ٢١ .

(٢) قرآن كريم : سورة القصص . الآية ٥٧ .

(٣) الدكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الإسلامية ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩١م ، ص ٨٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٤.

يمكن لأى نظام من الأنظمة البشرية أن يكون فعالاً إلا إذا انبثق من أعماق الذات ، وكأنه أمر باطنى يتحدى كل عائق وكل ضغط خارجى " (١) .

وفى ضوء هذا المعنى يمكن القول إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى جعل العبادة قولاً وعملاً ، وجعل العمل عبادة يمكن التقرب بها إلى الله تعالى .

إن عقيدة التوحيد هى التى جعلت الأمن النفسى والطمأنينة القلبية، يتحققان بالإيمان الحق بالله تعالى وبالإسلام ديناً وبمحمد (ﷺ) نبياً ورسولاً وبالرسل جميعهم ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

إن التربية الإسلامية عن طريق الأمثال القرآنية – على سبيل المثال– توقظ العواطف الإنسانية فى النفس البشرية وتوجهها إلى الخير والحق والجمال والاطمئنان القلبى والأمل والرجاء وكل ما من شأنه تحقيق رضا الله تعالى ، وسعادة الإنسان واستقامة حياته .

- **تعقيب**

ولما كانت الأسرة هى النواة الأولى فى المجتمع الإنسانى الذى يقوم بأهم دور فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وإعداد الطفل ليكون مسلماً صالحاً فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فإن الإسلام يؤكد حق الطفل فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

الأمن [١] من خلال تربية الوالدين ومعاملتهما له المعاملة التى يشملها الحب والألفة والعطف والحنان ، من أجل نمو الطفل اجتماعيا وانفعاليا نمواً سوياً .

إن لدور الكبار فى تربية الصغار أثره المهم فى التربية الأمنية هذه التربية القائمة على تقبل الصغار والعدل فيما بينهم فى المعاملة والتوجيه والحب والملاطفة ، واللعب الذى يؤدى إلى اكتساب الطفل الثقة بنفسه التى تؤدى إلى تزويد الطفل بالقيم الإسلامية والاتجاهات السوية والعادات السلوكية المتفقة مع عقيدة التوحيد ، الأمر الذى يجعله قادراً على التعامل مع الآخرين خارج نطاق الأسرة تعاملاً متزناً .

يتأثر الطفل بالعلاقة بين الوالدين فى الأسرة تأثيراً بحسبها ، فإن كانت العلاقة أساسها المودة والرحمة التى جعلها الإسلام أساس العلاقات الإنسانية بين الزوجين ، حينئذ يتأثر الطفل تأثيراً إيجابياً فيحدث له السرور الاستقرار النفسى وهما من مظاهر التربية الأمنية فى الأسرة .... وإن كانت علاقة الوالدين أساسها النفور ، وسوء التفاهم تأثر الطفل بها تأثيراً سيئاً انعكس على شخصيته ضيقاً وقلقاً وصراعاً نفسياً ، ومال إلى العدوان [٢].

إن قيم المودة والرحمة فى الأسرة المسلمة من مظاهرها الود المتبادل بين الزوجين (الوالدين) ، والذى ينعكس بدوره على تربية

---

(١) دكتور مصطفى محمد متولى : مرجع سابق ، ٢٣٤ .

(٢) منير مرسى سرحان : مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

الأطفال " ففى دفء العلاقات العاطفية الوالدية ينشأ الأطفال محفوفين بالأمن والطمأنينة وهذا يدفعهم إلى الثقة بالنفس ، وكلما زادت ثقة الطفل بنفسه نمت شخصيته بصورة متزنة(١) .

إن الإيمان بالله تعالى يولد الشعور بالأمن والاطمئنان ويبعث فى نفس الإنسان الثقة بنفسه والشعور بالعزة والكرامة ، كما يجعله يخاف الله تعالى ، ويخشاه ويراقبه فى السر والعلانية .

ولا شك أن أهمية الإيمان وفوائده لا تقف عند حد الفرد وحده بل يتعداه إلى المجتمع ككل (٢) .

وخلاصة القول إن العلاقة بين الزوجين (الوالدين) فى الأسرة المسلمة علاقة تقوم على الإيمان بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ﷺ) نبياً ورسولاً ، وهذه العقيدة تنشأ القيم الإسلامية الأصيلة ، والتى منها المودة والرحمة ، ومن هنا يمكن القول إن التربية الأمنية التى يربى الوالدان المسلمان أطفالهما عليها تربية مرتبطة أشد الارتباط بالعقيدة الإسلامية وأخلاقياتها ومضامينها وبدونها لا يكون الأمن ولا تكون التربية الأمنية التى نريد .

---

(١) دكتور مصطفى محمد متولى ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) دكتور عمر محمد التومى الشيبانى : مرجع سابق ، ص ١٣١ .

- **الأمثال القرآنية تعظم شأن الجنة**

وعد الله سبحانه وتعالى عباده المتقين الذين أخلصوا العمل لله واسلموا وجوههم وقلوبهم له ، وعدهم الجنة جزاء وفاقاً حيث النعيم الأبدى لما كان منهم من عمل صالح فى حياتهم الدنيوية ، استهدفوا به رضا الله دون أن يشركوا به شيئاً .

ولما كانت الجنة من مسميات الكون غير المشهود فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فإن الله تعالى يضرب الأمثال لما عليه الجنة من نعيم بصور حسية ، وهو سبحانه " أعلم بمن خلق وأعرف بما يؤثر فى قلوبهم ، وما يصلح لتربيتهم ، ثم ما يصلح لنعيمهم ولعذابهم " (١)

ولما كانت الطبائع البشرية متعددة ومتلونة أوالبشر تبعاً لذلك صنوف ، والنفوس البشرية ألوان متعددة ، والطبائع البشرية شتى ؛ لذلك فضل الله تعالى ألوان النعيم والعذاب وأنواع المتاع والآلام ، و(الثواب والعقاب) بحسب علمه سبحانه بعباده وبطبائعهم ، فمنهم من يصلح لتربيتهم الثواب المادى ، أو العقاب المادى ، ومنهم نعيماً أو عذاباً ، ثواباً أو عقاباً من يعبدونه ويتقربون إليه ولا ينتظرون وراء ذلك جنة أو نارا ، نعيما أو عذابا ، فمثل هؤلاء يصلح لتربيتهم أن يقول الله لهم " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً " (٢)

يضرب الله تعالى الأمثال القرآنية كأسلوب من أساليب التربية الإسلامية المتعددة ، وهو سبحانه يعلم أن هناك أناس " يصلح لتربيتهم

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٢٩١ .

(٢) قرآن كريم : سورة مريم ، الآية ٩٦ .

ولاستجاشة همتهم للعمل كما يصلح لجزائهم ويرضى نفوسهم ، أن يكون لهم أنهار من ماء غير آسن ، أو أنهار من لبن لم يتغير طعمه أو أنهار من عسل مصفى أو أنهار من خمر لذة للشاربين ، أو صنوف من كل الثمرات مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار والمتاع بالجنات"(١)

مثل هؤلاء الناس يضرب الله لهم الأمثال بما يؤثر فى نفوسهم وقلوبهم وما يصلح لتربيتهم وجذبهم إلى العمل الخير .

وتبين الأمثال القرآنية صفة الجنة التى وعدها الله عباده المتقين ، فيقول تعالى : " مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم " (٢)

إن صفة الجنة التى وعدها الله الأبرار والأتقياء من عباده " فيها أنهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، ولم يحمض ولم يفسد ، ولم يخرج من ضروع الماشية (وأنهار من خمر لذة للشاربين) طعمها لذيذ ، ومختلفة عن خمر الدنيا التى تفسد العقل وكريهة الرائحة بينما خمر الآخرة طيبة الرائحة والطعم .... وفى الجنة " أنهار من عسل مصفى " لم يخرج من بطون النحل ولم يخالطه الشمع أو فضلات النحل (ولم فيها من كل الثمرات) أنها الأنواع المتعددة والمتنوعة من الثمار والفواكه . وفوق كل هذا أو ذاك من النعيم (ومغفرة من ربهم) إن النعيم

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٢٩١ .

(٢) قرآن كريم : سورة محمد ، الآية ١٥ .

المادى المحسوس ليس كافياً ولكن هناك النعيم الروحى المعنوى وهو المغفرة من الله والرضوان ...... [١]

وعلى العاقل أن يقارن بين هذه الصورة أو هذه الصفة التى عليها الجنة وما يكون حال المتنعمين فيها ، وبين من هو خالد فى النار ، والمعنى هل يستوى كل منهما بالآخر ...... بالطبع لا .

يصف الله تعالى الجنة من خلال المثل القرآنى بقوله تعالى : " تجرى من تحتها الأنهار "أى سارحة فى أرجائها وجوانبها حيث شاء أهلها يفجرونها تفجيرا أى يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا . [٢]

ويرغب الله تعالى عباده فى الجنة ليعملوا من أجلها ، فيبين ما فيها من خيرات ونعيم مقيم ، وما أعده الله للمتقين ، فيقول تعالى : " أكلها دائم وظلها " أى فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع ولا فناء .[٣]

هكذا يضرب القرآن الأمثال للناس لعلهم يتذكرون أو لعلهم يشكرون أو لعلهم يهتدون إلى طريق الصواب ، الطريق الذى رسمه الله للعباد فاختاره الصالحون ، والصادقون فى نياتهم المخلصون فى أعمالهم، فأطاعوه فاستحقوا من الله الثواب الجزيل واستحقوا جنته هذه الجنة ذات المتاع والاسترواح ، والظل الدائم الذى تطمئن إليه النفوس وتستريح فى مقابل المشقة والهوان هناك فى نار جهنم جزاءً وفاقا .

---

(١) انظر : محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، الجزء السادس عشر ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، بيروت ، ص ٢٣ .

(٢) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

هكذا يقرب المثل القرآنى المعنى المعنوى إلى المحسوس المدرك، بحسب المتلقى وطبيعته ، ولا يمنع أن يسوق المعانى المعنوية السامية من رضا نفسى وسرور برضوان الله رب العالمين ، وعظيم مغفرته وفضله . وتلك نعمة ولذة أسمى من اللذائذ الحسية ، وتتناسب مع أصحاب الهمم العالية الذين لا يقفون عند حدود الحس والتجربة الحسية فقط .

يضرب الله تعالى فى سورة الرعد المثل القرآنى ليؤكد صفة الجنة، ونعيمها ، وما يكون عليه الكافرون فى المقابل لهم ، وذلك بهدف تعظيم شأنها والعمل من أجلها والفوز بها جزاء العمل الصالح فى الدنيا .

قال تعالى : " مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار " (١)

هذه الجنة ذات المتاع والاسترواح والظل الدائم الذى تطمئن النفوس ويستريح فى مقابل المشقة والهوان هناك فى نار جهنم جزاءا وفاقا .(٢)

وهكذا نرى أن القرآن الكريم فى ضربه للأمثال القرآنية يراعى الجانب المادى، الحسى الذى يخاطب الجانب الغريزى لدى الإنسان ،وفى نفس الوقت لم يغفل الجانب المعنوى ، الروحى الذى يهتم بالقيم النبيلة والأمور غير الحسية من مغفرة الله تعالى ورضوانه وكرمه لهم .

---

(١) قرآن كريم : سورة الرعد ، الآية ٣٥ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد الرابع . ٢٠٦٣.

• **تعقيب**

تعددت أساليب التربية الإسلامية من خلال القرآن الكريم فمنها التربية بالقدوة الطيبة أو الأسوة الحسنة ، ومنها التربية بالموعظة الحسنة، ومنها التربية بالقصة ، ومنها التربية بالمثل ، والتربية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...... وهكذا .

ومع تنوع أساليب التربية الإسلامية يمكننا أن نستنتج أن سر التنوع هو اختلاف الطبائع الإنسانية ، وتعدد جوانب النفس ، وطبيعة الحياة الإنسانية ..... وتحاول التربية الإسلامية أن تستوفى جميع هذه المعانى ، ومرد ذلك كله أن هذه الأساليب التربوية الإسلامية ليست من صنع بشر ولا ينبغى للبشر أن يصنعها ، بل هى من تقدير الله تعالى الذى خلق الإنسان "يعلم من خلق وهو اللطيف بخلقه الخبير بأحوالهم" . ويعلم أسراره ، بل يعلم السر وأخفى فقد جاءت هذه الأساليب متنوعة لتخاطب عقول البشر وقلوبهم وعواطفهم ، وتنظم سلوكهم بما يتناسب مع فطرتهم ، ويبلغ فى النهاية الهدف الأسمى للإنسان وهو العبودية الكاملة والتامة لرب العالمين .

إن تنوع الأساليب التربوية الإسلامية ومنها الأمثال القرآنية يتطلب من المربين بصفة عامة ، والوالدين بصفة خاصة أن يكونوا على استعداد بالانتقال بالطفل من أسلوب إلى أسلوب ، كى تؤثر فيه أكثر ، حتى لا يمل الطفل ، وبالتالى يمكن جذب انتباهه عن طريق الأمثال القرآنية ، بحسب تنوعها وكثرتها وشمولها لجوانب كثيرة فى الحياة والإحياء ، وفى العقيدة والمجتمع والأفراد ، الأمر الذى يمكن المربى من التأثير فى نفس وشخصية المتربى بقدرته على التأثير فيه من خلال

اختيار المثل المناسب للظرف والزمان والحالة التى تكون أمامه ويمكن استغلالها أو استثمارها استثماراً مناسباً .

يستطيع الوالدان أن يؤثرا فى الطفل عن طريق الأمثال القرآنية ، لا على أنها مجرد كلام نظرى فقط ، بل ينبغى أن تتحول هذه المعرفة التى يقدمونها عن طريق ضرب الأمثال إلى حركة فكرية تؤدى فى النهاية إلى تحقيق الهدف المنشود وتحقيق التغيير المطلوب .

إن أسلوب ضرب الأمثال القرآنية يمكن اعتباره أحد الأساليب الفعالة فى التربية الإسلامية إذا كان الوالدان على وعى بالقرآن الكريم ، وإذا أراد أن يربيا أطفالهما على مائدته العامرة بالخير كله .

إن أفضل ما يمكن أن يربى الأباء والأمهات أطفالهما عليه أن يصفوا لهم الجنة ونعيمها وخيراتها ، وما فيها من مطاعم ومشارب وظل وأنهار وحور عين ، وخيرات حسان ..... وكل هذه النعم وكل هذه الهبات لا يستحقها ولا يحظى بها إلا من آمن بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد – (ﷺ) نبياً ورسولاً واتبع سنته وسار على هديه ونهجه ، وبذلك يمكن أن يكون للوالدين الدور الفعال فى تربية أطفالهما على حب الجنة والعمل الصالح الذى يوصل إليها .

- الأمثال القرآنية تبين حقيقة الحياة الدنيا

ترتبط الحياة الدنيا بالحياة الآخرى ، فالأولى فانية والثانية هي الباقية ، والأولى دار عمل ونشاط وسعى ، والأخرى دار ثواب وراحة ونعيم ، والأولى موصلة ومتصلة بالأخرى إذ الحياة بصفة عامة فى التصور الإسلامى " دنيا وآخره ، شهود وغيب ، وهما مرتبطان " (١) .

وإن كانت الحياة الدنيا فانية " والآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون " فقد خلقها الله تعالى للابتلاء والاختبار " ليبلوكم أيكم أحسن عملاً " (٢) لذا فهى دار معاناة وعمل متواصل وجد لا ينتهى إلا بالموت ... " لقد خلقنا الإنسان فى كبد " (٣) .

- إن التصور الإسلامى للحياة الدنيا يرى أنها " مجموعة أنشطة الكائنات التى خلقها الله خلال أعمارها الزمنية ، وعمارة الأرض ، وترقية الحياة على ظهرها إنما يكون باستثمار ما أودعه الله فى الكائنات من طاقات استثماراً صالحاً ، وتوجيه ألوان النشاط البشرى لاستخدام تلك الطاقات بالرفق وفق منهج الله " (٤) .

إن منهج الله يحقق التوافق والانسجام والتناسق والتكامل بين أنشطة جميع الكائنات فى الحياة الدنيا ، من إنسان وحيوان ونبات وجماد. وبدون هذا التوافق أو الاتساق ، بين كل هذه الكائنات ، وفق منهج الله ،

---

(١) الدكتور على أحمد مدكور : مرجع سابق ، ص ١٨١ .

(٢) قرآن كريم : سورة تبارك ، الآية ٢.

(٣) قرآن كريم : سورة البلد ، الآية ٤ .

(٤) الدكتور على أحمد مدكور – مرجع سابق . ص ١٨١

تتحكم الشهوات والميول والرغبات ويختل ميزان القيم الإسلامية ويكــون التناقض والحياة ضنكاً لا تطاق .

تضرب الأمثال القرآنية للتحذير من شأن الحيــاة الــدنيا وعــدم الركون إليها أو جعلها الهدف والغاية رغم ما فيها مــن نعــيم – يظنــه البعض أنه نعيم دائم وفى الحقيقة أنه خداع وسراب إذ تسير بهم ودنياهم فى كل مجال ومكان وتعرض عليه العديد مفاتنها ومباهجها ، فتســحرهم وتعجبهم وتبهرهم ويخدع أصحابها ومحبوها والمطمئنون إليها ويركنون إليها " مسلمين زمامهم لها ، مغرقون أنفسهم فى أوضارها وأوصــالها ، بعد أن ظنوا أنهم قادرون عليها ، متحكمون فيها بما فــى جعبــتهم مــن وسائل العلم الحديث وألوان التقدم الحضارى ، وأنواع المخترعات التــى خذلت المسافات وقربت البعيد وذللت العسير " (١)

ضرب الله تعالى الأمثال القرآنية مبيناً قيمة الحياة الدنيا ، وأنهــا ليست دار قرار ، بل هى ظل زائل ، لا يملك النــاس إلا متاعهــا ، حــين يرضون بها ولا يتطلعون منها إلى ما هو أكرم وأبقى وهــى دار النعــيم المقيم، ودار الخلود والحياة الأبدية .

قال تعالى : " إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهــو وزينــة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ومــا الحيــاة الــدنيا إلا متــاع الغرور "(٢)

---

(١) محمود بن الشريف ، مرجع سابق ، ٤٦ .

(٢) قرآن كريم : سورة الحديد . الآية ٢٠ .

إن حقيقة الحياة الدنيا إن هى إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر " وإن كانت لتبدو للرائى أمراً عظيماً ، وهائلاً ولكنها إذا قيست بمقـاييس الحياة الباقية الخالدة ، تبدو شيئاً زهيداً ، ولذا ينبغى على العاقل أن يغتنم حياته الدنيوية ليعمل فيها بمقتضى المنهج الإسلامى القويم حتـى يفـوز ويتنعم بالنعيم الدائم ، ولا يركن لحياة دنيوية كظل زائل ، ليس فيها بقاء ، إن هى إلا متاع الغرور .

إن هذا المثل القرآنى لا يهدف إلى العزوف عن الدنيا والانخـلاع عنها ، وتركها والزهد فيها ، ليعيث فيها المفسدون وإنما يقصد " تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية ، والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض ، هذا الاستعلاء الذى كـان المخـاطبون بهـذه السورة فى حاجة إليه ليحققوا إيمانهم . والذى يحتاج إليـه كـل مـؤمن بعقيدة ليحقق عقيدته ، ولو اقتضى تحقيقها أن يضحى بهذه الحياة الـدنيا جميعاً " (١)

ويؤكد المثل القرآنى هذا المعنى فى سورة يـونس ، فـى قولـه تعالى :- " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فـاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخـذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا لـيلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون " (٢)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ص ٣٤٩١.

(٢) قرآن كريم : سورة يونس . الآية ٢٤ .

يضرب الله تعالى المثل بصفة الحياة الدنيا وحالها وذهاب نعيمها واغترار الناس بها كمثل المطر الذى أنزله الله من السماء فنبتت به أنواع من النبات ، من كل لون وطعم يستفيد منه الناس والأنعام على حد سواء، كل بحسبه . والأرض فى حالة التزيين كأنها العروس فى زينتها ، لكن المغترين بها الذين ركنوا إليها بعلمهم أو بأسبابهم ظنوا أنهم قادرون عليها وإذا بقضاء الله يجهز على كل ما عليها فتصبح كأن لم تكن ، فتخيب ظنونهم

إن هذا المثل يضرب للعظة والاعتبار ، وعلى العاقل أن يقيس الأمور بمقاييس الله لها وألا يركن للحياة الدنيا بأن يشغله زخرفها وزينتها وما فيها عن عبادة الله .

إن هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة يجب ألا يركن إليها الإنسان الذى تربى على منهج الله ، فهى الدنيا وهى الحقيرة " التى يستغرق فيها بعض الناس ويضيعون الآخرة كلها لينالوا منها بعض المتاع ، هذه هى لا أمن فيها ولا اطمئنان ، ولا ثبات ولا استقرار ، ولا يملك الناس من أمرها شيئاً إلا بمقدار " (١)

يضرب الله المثل القرآنى مبيناً حقيقة الحياة الدنيا وقيمتها ، وزوالها وقصرها وهوانها ، مستهدفاً من وراء ذلك لفت الأنظار إلى الحقيقة ، والقيم التى تستحق الاهتمام والعمل من أجلها .

قال تعالى : " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ، وكان الله على كل شئ مقتدراً " (٢)

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن – المجلد الثالث . ص ١٧٧٥.

(٢) قرآن كريم : سورة الكهف ، الآية ٤٥ .

هذا مثل آخر للحياة الدنيا التى يتكالب بعض الناس عليها ، فيخدعهم بهرجها ويشغلهم مظهرها ، وهى فى الحقيقة سريعة الزوال ، يشبهها الله تعالى فى انقضائها " بماء نزل من السماء فخرج به النبات وافياً غزيراً وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه " فأصبح هشيما تذروه الرياح " أى صار النبات متكسراً من اليبس متفتتاً تنسفه الرياح ذات اليمين وذات الشمال " [١] بقدرة الله تعالى على الإفناء والإحياء .

إن حقيقة الحياة الدنيا أنها دار فناء وليست دار بقاء ، وهى مزرعة للآخرة يأخذ منها الإنسان زاده للآخرة الباقية ، وما من " فيلسوف " أو شاعر أو متأمل فى الوجود إلا وحقر الدنيا واشتكى منها ، لتوالى آفاتها تتابع حسراتها ، فلا لذة فيها إلا وهى مشوبة بألم ، ولا راحة إلا وهى مصحوبة بتعب ، فلم تصف لملك ولا عالم ولا جاهل ، ولكن الناس مُلوكهم ومماليكهم وعالمهم وجاهلهم ومؤمنهم وكافرهم ، وإن اتحدوا فى هذا الذم، إلا أن طرائقهم فيها على غاية التناقض ، اتحدوا كلهم فى المقدمة ، واختلفوا فى النتيجة " [٢]

لقد اتحد الملوك والمماليك والعلماء وغير العلماء والمؤمنون والكفار، على ذم الدنيا وإن كانوا مختلفين فى أسباب هذا الذم فجميعهم متفقون على ذم هذه الدنيا ، لكنهم مختلفون فى النتائج ، والأهداف .

موقف الناس من هذه الحياة الدنيا على حالتين :-

١- الحالة الأولى : حالة المتكالبين على حطام الدنيا والمتفانون فى خدمتها هذا التكالب وحب العرض أدى فى نهاية المطاف إلى

---

(١) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير – الجزء الثامن – الطبعة الأولى – دار القرآن الكريم – ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، بيروت ، ص ١٧ .

(٢) محمود بن الشريف ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

التنابذ والتقاطع والانغماس فى الشرور ، مما زادهم هما وتناقضاً وجعل معيشتهم ضنكاً مستمراً بانغماسهم واستغراقهم فى تلبية مطالب الجسد .

٢- الحالة الثانية : حالة من عرف الدنيا على حقيقتها ، وإنها زائلة فكان موقفهم منها القطيعة والنبذ ، وليس لهم منها إلا ما يقيم الأود ..... إنهم زاهدون فيها .

نرى أن القسمين كانا على نقيض ، فالأول متناقض والثانى مفرط لا يلبث أن يستحوذ عليه الأول ، حتى جاء الإسلام والناس على هاتين الحالتين " فأتى للأولين من أنواع العبر بما يقتلع حب الدنيا من أنفس المتهورين فى حبها ، ويريهم حقارتها ونقصها بمثل قوله تعالى : " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " (١) وقوله تعالى : " وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو " (٢) وقوله تعالى : " وحتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس " (٣) وقوله تعالى : " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح " (٤)

أتى سبحانه وتعالى بمثل هذه الآيات ، ولكنه شفعها بما يجب على الإنسان أن يعمله فى دنياه من سعى وراء الحصول على المادة حتى لا

---

(١) قرآن كريم : سورة الحديد ، جزء من الآية ٢٠ .

(٢) قرآن كريم : سورة الأنعام ، جزء من الآية ٣٢ .

(٣) قرآن كريم : سورة يونس ، جزء من الآية ٢٤.

(٤) قرآن كريم : سورة الكهف ، جزء من الآية ٤٥ .

يقع أهل هذا الدين تحت أسر الأمم المادية ، فقال تعالى : " ولا تنس نصيبك من الدنيا " (١) وسمى المال خيراً مادام المقصود منه طلب الحق " (٢) ، وسمى الله تعالى المال فضلاً ، وذلك فى قوله تعالى : " فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله " (٣) .

وهكذا يضرب الله الأمثال للناس ويبين لهم حقيقة الحياة الدنيا وحقارتها وقيمتها وفى الوقت نفسه لا يحاربها محاربة مطلقة ، لأنها مرغوبة وذلك لكونها مطية للآخرة ،يصل الإنسان عن طريقها إلى الحياة الدائمة والنعيم الخالد .

إن الحياة الدنيا مزرعة ودار عمل ولا حساب ، والحياة الأخروية دار جزاء ولا عمل ، والعزوف عن الحياة الدنيا يعد " جريمة فى نظر الإسلام بدليل أن الله جل شانه يقول : " ولا تنس نصيبك من الدنيا " (٤) ويقول : " قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبادة والطيبات من الرزق " (٥)

---

(١) قرآن كريم : سورة القصص ، جزء من الآية ٧٦ .

(٢) محمود بن الشريف ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٣) قرآن كريم : سورة الجمعة ، جزء من الآية ١٠ .

(٤) قرآن كريم : سورة القصص ، جزء من الآية ٧٦ .

(٥) قرآن كريم : سورة الأعراف ، جزء من الآية ٣٢ .

• خاتمة

التربية الإسلامية تعد المسلم الصالح ،العابد لله تعالى لا المـــواطن الصالح فقط فهى تربى المسلم على التعاليم التى اشتقت من الإسلام وعلى العلوم التى نمت فى كنف هذا الدين الحنيف وقامت على مبادئه .

إن الدنيا ليست هى الغاية التى يسعى من أجلها الإنسان المسلم ، وهى فى نفس الوقت ليست ضد العمل وضد الحركة والنشاط والابتكـــار ، إن تعاليم الإسلام وتربيته تنصب على العناية بالشخصية الإنسانية لكلتـــا الحياتين، الدنيا والآخرة فى نفس الوقت وبنفس المنهج ولا فصل بينهما .

وتهتم التربية الإسلامية بتنشئة الأطفـــال والشـــباب أو الصـــغار والكبار على معرفة الدين الإسلامى والعمل من أجله وحبه وحسن الخلـــق وعدم الإهمال فى إقامة الشعائر الدينية وإقامة الروابط الأخوية والعلاقات الإنسانية الطيبة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

وإذا كانت الأمثال القرآنية تضرب لتحقير الدنيا وعـــدم التكالـــب عليها أو الركون إليها فليس معنى هذا أن يترك العمل أو النشاط أو التعليم أو اى سلوك يؤدى إلى سعادة المسلم وسلامته فى الدنيا والآخرة .

التربية الإسلامية من خلال الأمثال القرآنية تعمل من أجل السعادة الأخروية ولكنها لا تنس الدنيا ولا تفرط فيها أو تزهد . إنها تربيـــة مـــن أجل الدنيا والآخرة معاً ، من اجل السعادة الدنيوية والسعادة الأبدية . ومن هنا وجب على الوالدين أن يربيا أطفالهما علـــى معرفـــة حقيقـــة الـــدنيا وقيمتها ووظيفتها وأهدافها ، ويضربا لأطفالهم الأمثال الدالة على ذلك كى يتحقق لديهم معرفة حقيقتها واستغلال ما فيها لطاعة الله وتوحيده .

ولا ينبغى للمسلم أن يسخط من الدنيا فيربى أطفاله على السخط وعدم الرضا وعدم القناعة بقدر الله له ، ولكن عليه أن يتعرف على الأشياء على حقيقتها ، وأن يعلم أن الدنيا مزرعة للآخرة ، وأن الدنيا لو كانت تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء .....

وصدق الله العظيم إذ يقول :-

" اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور "(١)

وصدق الله العظيم

وصدق رسوله الكريم

وصلى الله وسلم وبارك

عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

وسلم تسليما كثيراً ، وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) قرآن كريم : سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

المراجـــــع

القرآن الكريم

١)إبراهيم عبد العزيز : منهج الشيخ الشعراوى لإصلاح المجتمع ، (سلسلة إقرأ العدد ٥٩١) ، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٩٤م .

٢) الدكتور إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٩٠م .

٣) الدكتور إبراهيم ناصر : أسس التربية ، الطبعة الثانية ، عمان ن الأردن ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

٤) الإمام ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٥) الإمام ابن كثـــير : تفسير القرآن العظيم ، (أربعة أجزاء) ، الطبعة التاسعة ، بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

٦) ابن منظــور : لسان العرب ، المجلد الحادى عشر ، بيروت ، دار صادر ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٧) الشيخ أبو الأعلى المودودى : تفسير سورة النور ، الكويت ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع .

٨) دكتور أحمد الحوفى : تأملات إسلامية ، القاهرة ، مؤسسة الخليج العربى ، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩) دكتور أحمد السيد على رمضان : العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة . المنصورة ، مكتبة الإيمان ١٤١٩هـ - ١٩٩٩ .

١٠) دكتور أحمد عمر هاشم : الأمن فى الإسلام ، الاسكندرية ، دار المنار . ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .
١١) ـــــــــــــــ : الخلاق فى ضوء القرآن والسنة ، الطبعة الثانية ، دار الصفوة للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .
١٢) الحافظ المنذرى : مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى ، الرياض ، مكتبة المعارف ، عمان ، الأردن ن المكتبة الإسلامية ، ١٤١٢هـ .
١٣) الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، الجزء الرابع ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى .
١٤) الدكتورة آمنة محمد نصير : إنسانية الإنسان فى الإسلام ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .
١٥) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٥م .
١٦) دكتور بكرى شيخ أمين : التعبير الفنى فى القرآن ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .
١٧) دكتور سعيد اسماعيل على : الأصول الإسلامية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
١٨) سيد قطب : فى ظلال القرآن (ستة مجلدات) ، القاهرة ، بيروت، دار الشروق .
١٩) ـــــــ : السلام العالمى والإسلام ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، د. ت.
٢٠) ـــــــ : العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

٢١)ـــــــــ : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته (الجزء الأول)
الكويت . الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ،
١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٢٢) الأستاذ عباس محمود العقاد : التفكير فريضة إسلامية ، (مكتبة
الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) القاهرة ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨م .

٢٣) ـــــــــــــــ : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ،
(مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

٢٤) الدكتور عبد الجواد السيد بكر : فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث
الشريف. (سلسلة مكتبة التربية الإسلامية) – الكتاب
الخامس ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٣م .

٢٥) عبد الرحمن النحلاوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت
والمدرسة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دمشق ، دار
الفكر ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٢٦) ـــــــــــــ : التربية بالآيات ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر
المعاصر ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

٢٧) ـــــــــــــ : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ،
الطبعة الثانية ، بيروت ، دمشق ، المكتب الإسلامى ،
١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٢٨) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : الأمثال القرآنية ، دمشق ،
بيروت . دار القلم ، ١٤٠٠هت ، ١٩٨٠م .

٢٩) عبد الرحيم الرفاعى بكرة : القيم الأخلاقية فى التربية الإسلامية من
واقع مناهج المدرسة الابتدائية العامة ، رسالة

ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية جامعة طنطا ، ١٩٨٠ .

٣٠) دكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧م .

٣١) ــــــــــــ : الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر ، (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب الرابع) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٨م .

٣٢) ــــــــــــ : قضية الحرية وقضايا أخرى (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب السابع) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩ م .

٣٣) ــــــــــــ : الملامح العامة للمجتمع الإسلامى ، (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب التاسع) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٩ م .

٣٤) ــــــــــــ : الله والإنسان المعاصر (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب الثانى) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١م .

٣٥) ــــــــــــ : الحضارة الإنسانية والحضارة المعاصر (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب الحادى عشر) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ،١٩٨١م .

٣٦) ــــــــــــ : المسلمون وتحديات العصر ، (سلسلة الإسلام وتحديات العصر ، الكتاب الخامس عشر) ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٥م :

٣٧) ــــــــــــ : فى التربية الإسلامية ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩١م .

٣٨) دكتور عبد اللطيف محمد السعيد : الأخلاق فى الإسلام ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، د.ت.
٣٩) دكتور عبد الله بن أحمد قادرى : أثر التربية الإسلامية فى أمن المجتمع الإسلامى ، جدة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .
٤٠) دكتور عبد الله شحاته : تفسير سورة النور ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .
٤١) ــــــــــــــ : أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم – الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م – (عدد ٢٠ جزء)
٤٢) دكتور عبد الله عبد المحسن الطريقى :الاقتصاد الإسلامى،أسس ومبادىء وأهداف ،الطبعة الثالثة،الرياض ،١٤١٤هـ .
٤٣) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية ، دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ، ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها ، المدينة المنورة ، مكتبة إبراهيم حلبى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
٤٤) دكتور على عبد الواحد وافى : الحرية فى الإسلام ، الطبعة الثانية ، (سلسلة إقرأ ، العدد ٣٠٤) ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٩م .
٤٥) دكتور على محمد مدكور : منهج التربية فى التصور الإسلامى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .
٤٦) دكتور عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الإسلامية ، طرابلس ، ج.ع.ل. الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٧٥م .

٤٧) دكتور فؤاد على رضا : من علوم القرآن ، الطبعة الثانية ، بيروت . دار إقرأ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨١م .

٤٨) دكتورة فوزية رضا امين خياط : الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكة المكرمة، مكتبة المنارة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م .

٤٩) ماجد عرسان الكيلانى : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، عمان ، الأردن ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٧٨ .

٥٠) ———— : الفكر التربوى عند ابن تيمية ، عمان ، الأردن ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٩٥ .

٥١) محروس سيد مرسى : التربية والطبيعة الإنسانية فى الفكر الإسلامى وبعض الفلسفات الغربية ، الاسكندرية ، دار المعارف، ١٩٨٨م .

٥٢) محمد أحمد جاد صبح : التربية الإسلامية ، دراسة مقارنة ، القاهرة، مكتبات الكليات الأزهرية ، د. ت .

٥٣) الشيخ محمد الغزالى : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، القاهرة دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

٥٤) ———— : عقيدة المسلم ، القاهرة ، دار الكتب الإسلامية ، ١٩٨٤م .

٥٥) ———— : تأملات فى الدين والحياة ، القاهرة ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع . ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م

٥٦)دكتور محمد سعد القزاز ، أ. صالح أبو عراد الشهرى : المبادئ العامة للتربية ، الطبعة الثانية ، المملكة العربية السعودية ، دار المعراج الدولية للنشر ، ١٤١٦هـ .

٥٧) ــــــــــــــ : التربية بالصوم ، القاهرة ، دار فرحة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م .

٥٨)دكتور محمد سمير حسانين : التربية أصول وأساسيات (الأصول الفلسفية والنفسية) ، طنطا ، مؤسسة سعيد للطباعة ، ١٩٧٨م .

٥٩)ــــــــــــــ : المؤسسات التربوية ، طنطا ، دار أبو العينين لطباعة الأوفست ، ١٩٨٦م .

٦٠) دكتور محمد عادل الهاشمى : الإنسان فى الأدب الإسلامى ، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٦١) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، دار المعرفة ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٦٢) دكتور محمد عبد المنعم القيعى : الأصلان فى علوم القرآن ، الطبعة الثانية، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م .

٦٣) الدكتور مقداد يالجن : أهداف التربية الإسلامية وغايتها ، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

٦٤) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، الطبعة الرابعة ، القاهرة، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

٦٥) محمد عطية الإبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، الطبعة الرابعة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، ١٩٨٥م .

٦٦) ———— : عظمة الإسلام ، الجزء الأول ، (مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م .

٦٧) ———— : عظمة الإسلام ، الجزء الثانى ،(مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع) القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م .

٦٨) دكتور محمد على المرصفى : من المبادئ التربوية فى الإسلام ، جدة ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ .

٦٩) الأستاذ محمد قطب : منهج الفن الإسلامى ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٧٨م .

٧٠) ———— : الإنسان بين المادية والإسلام ، الطبعة العاشرة، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م .

٧١) ———— : دراسات قرآنية ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، بيروت، دار الشروق ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٧٢) ———— : الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة، القاهرة ، مكتبة السنة ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٧٣) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير (عشرين جزءا) بيروت ، دار القرآن الكريم، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٧٤) محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن (عشرة أعداد) – القاهرة ، دار أخبار اليوم .

٧٥) محمد منير الدمشقى : معجم آيات القرآن الكريم ، القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامى ، د. ت.

٧٦) دكتور محمد منير مرسى : فلسفة التربية ، واتجاهاتها ومدارسها ، القاهرة، عالم الكتب ، ١٩٨٤م .

٧٧) ———————— : التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٧م .

٧٨) دكتور محمد على الهاشمى : ومضات الخاطر ، بيروت ، لبنان ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٧٩) ———————— : شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة ، الطبعة الثالثة ، لبنان ، بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٨٠) محمود بن الشريف : الأمثال فى القرآن ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥م .

٨١) دكتور مصطفى محمد متولى : أهداف التربية الإسلامية (د. محمد شحات الخطيب وآخرون : أصول التربية الإسلامية) ، الرياض ، دار الخريجى للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٨٢) الشيخ مناع القطـان : مباحث فى علوم القرآن ، الطبعة الثانية ، الرياض، مكتبة المعارف ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٨٣) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م .

٨٤) الشيخ موسى إبراهيم الإبراهيم : تأملات قرآنية ، بحث منهجى فى علوم القرآن ، الأردن ، دار عمار ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

٨٥) دكتور نبيل السمالوطى : بناء المجتمع الإسلامى ونظمه ، دراسة فى علم الاجتماع الإسلامى ، دار الشروق للنشر و التوزيع والطباعة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٨٦) دكتور يوسف القرضاوى : التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

٨٧) ــــــــــــــــ : الحلال والحرام فى الإسلام ، الطبعة الرابعة عشر ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٨٨) ــــــــــــــــ : الإيمان والحياة ، الطبعة السابعة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٨٩) ــــــــــــــــ : العبادة فى الإسلام ، الطبعة التاسعة عشر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

المحتــــويات